تنوير الأفهام
بختم تحفة الحكام

للعلامة سيدي أحمد سكيرج رضي ا عنه

تحقيق ذ محمد الراضي كنون
الإدريسي الحسني

تنويــر الأفهام
بختــم تحفــة الحكــام[1]

بسم الله الرحمان الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الحمد لله الذي ختم بالسعادة على من نظر إليه بعين العناية. وتمم نعمه على من شاء بتوفيقه لعبادته من عباده إلى أن فاز بالحسنى والزيادة. بمحض الفضل المحوط بالرعاية بواسطة من أتاه الله الحكمة وفصل الخطاب. وأوتي جوامع الكلم في المقال والجواب. فقضى بين الخلق بالحق والصواب. كما أنزل عليه بذلك الكتاب. واقتفى أثره أصحابه الأعلام. واقتدى بهم في الأحكام من وفقه الله بعدهم من الحكام. فعليه وعليهم أتم الصلاة والسلام على طول الدوام.

وبعد: فيقول العبد الفقير الذي لا يزال على فضل ربه يعرج. أحمد بن الحاج العياشي سكيرج. غفر الله ذنوبه. وستر عيوبه. إن الأيادي الباهرة. والألاء الباطنة والظاهرة. التي لا يفي بعدها إحصاء. ولا يوافي بشكرها شكور باستقصاء. وهيهات أن يقوم شكر بها وهو من النعم. وبه يستوجب الشاكر الزيادة منها مع دفع النقم. وكل ذلك من المولى جل علاه. كما قال جل من قائل: وما بكم من نعمة فمن الله[2]. فسبحانه لا إله إلا هو. قد أنعم علينا بما لولا عنايته لم نكن له أهلا. كرما منه وفضلا. وذلك بختم تحفة الحكام. في نكث العقود والأحكام. بمجلس إقرائنا مع الطلبة بالقرويين. عمرها الله بذكره المبين.

وقد دعاني داعي محبة نشر العلم الشريف. الذي لا يخيب من استظل بظله الوريف. إلى أن نكتب ما أمليناه فيه بين الطلبة. فإن المجلس إنما ينتفع من حضره. والكتابة يدوم نفعها في العلم لمن طلبه. والله أسأل أن يسدد أقوالنا ويصلح أحوالنا. ويوفقنا لما فيه رضاه. وينفعنا بالعلم. ويلطف بنا في كل ما قضاه. قول الناظم رحمه الله:

وَإِرْثُ خُنْثَى بِمَبَالِهِ اعْتُبِرْ   وَمَا بَدَا عَلَيْهِ فِي الحُكْمِ اقْتُصِرْ[3]

الأبيات الأربعة. قد تقدم لنا أن الناظم رحمه الله ترجم في الفصل الذي نحن فيه لموانع الإرث. وجعله آخرا لما فيه من نوع براعة الإختتام. التي هي من أنواع علم البديع. ومعناها عندهم أن يأتي المتكلم في آخر كلامه بما يشعر بانتهائه. ولو بوجه دقيق. ولا يخفى أن المنع بمعنى الكف عن الشيء والحبس عنه. وفي ذلك إشارة إلى أنه يكف عن الزيادة من النظم. وهي نفس البراعة التي ذكرناها. ولم يستوف رحمه الله على الموانع كما ذكره أبو علي رحمه الله تعالى. وهي عندهم سبعة.

---

[1]- هو من عداد مؤلفاته التي كتبها إبان تواجده بمدينة فاس، حيث ذكر في ختامه أنه فرغ من كتابته يوم السبت 11 شعبان المعظم عام 1327 هـ- 28 غشت 1909م، وكان وقتئذ أستاذًا لمادة الفقه بجامع القرويين، لاسيما علم الفرائض، الذي كان يحسب له فيه ألفُ حساب، لدرجة أن كثيرًا من كبار علماء الجامع المذكور كانوا يستشيرونه في معضلات هذا العلم ومسائله المستعصية.

[2]- سورة النحل، الآية 53

[3]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر موانع الميراث)

ورمز لها بعضهم بقوله: عش لك رزق. فالعين لعدم الاستهلال. وهو مأخوذ من قول الناظم: ويوقف القسم[1] والشين للشك. فيمن مات أولا من المتوارثين. وهو قول الناظم: وحالة الشك[2]. إلخ.. مع قوله: وبين من مات[3]. واللام للعان. وهو مأخوذ من قوله: وابن اللعان[4]. والكاف والراء للكفر والرق. وهو قول الناظم: الكفر والرق لإرث منعا[5]. والزاي للزنى. وقد بقى على الناظم. والقاف للقتل. وهو قول الناظم: ومطلقا يمنع قتل العمد[6]. وقد تقدم الكلام على جميعها مستوفى. فلا فائدة في التطويل به هنا إلا اللعان. فإن الناظم أخره في قوله:

وابْنُ اللِّعَـــانِ إرْثُـــهُ بِأُمِّـــهِ   مَـا كَـانَ والسُّدُسُ أَقْصَى سَهْمِـهِ
وَتَـوْأَمَــاهُ هَبْهُمَــا تَعَـــدَّدَا   هُمَـا شَقِيقَـانِ فِـي الإرْثِ أَبَـــــدَا[7]

ومعنى كلامه أن الولد الذي نفاه والده باللعان كيف ما كان ذكرا أو أنثى أو خنثى، إنما يرث أخاه من أمه على أنه أخ لأمه. وأقصى ما يأخذه من الإرث السدس إذا انفرد. وأما إذا تعدد بأن كان ابن اللعان توأمين فأكثر فإنه يكون شقيقا لمن حصل اللعان فيه معه. والإرث يكون بينه وبينه كإرث الأشقاء فيما بينهم. ويورثون من أخيهم لأمهم الثلث كما تقدم في قوله:

والثُّلْثُ لِلجَدِّ بِرَجْحٍ بَـادِي   وَالأُمُّ دُونَ حَاجِـبٍ وَالإِخْـــوَةِ
لَهَـا وَهُـمْ فِـي قَسْـمِ ذَاكَ أُسْــوَةِ[8]

و أما من نفاهم عنه باللعان فلا يرثهم ولا يرثونه. وإلى ذلك يشير الشيخ خليل رحمه الله بقوله: ولا يرث ملاعن وملاعنة وتوءمان شقيقان. وكان من حق الناظم رحمه الله أن لا يؤخر هذين البيتين قبلهما وهما:

وإرْثُ خُنْثَى بِمَبَالِـهِ اعتُبِــرْ   وَمَا بَـدَا عَلَيْـهِ فِي الحُكْمِ اقْتُصِـرْ
وَإِنْ يَبُـلْ بِـالجِهَتَيْنِ الخُنْثَـــى   فَنِصْفُ حَظَّــيْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَـــى[9]

---

[1]- إشارة لقول صاحب تحفة الحكام (فصل في ذكر موانع الميراث)
وَ يُوقَفُ القَسْمُ مَعَ الحَمْلِ إِلَى   أَنْ يَسْتَهِلَّ صَارِخًا فَيُعْمَلا
[2]- إشارة لقول صاحب تحفة الحكام (فصل في ذكر موانع الميراث)
وَ حَالَةُ الشَّكِّ بِمَنْعٍ مُغْنِيَهْ
[3]- إشارة لقول صاحب تحفة الحكام (فصل في ذكر موانع الميراث)
وَ بَيْنَ مَنْ مَاتَ بِهَدْمٍ أَوْ غَرَقْ   يَمْتَنِعُ الإرْثُ لِجَهْلِ مَنْ سَبَقْ
[4]- إشارة لقول صاحب تحفة الحكام (فصل في ذكر موانع الميراث)
وَ ابْنُ اللِّعَانِ إرْثُهُ بِأُمِّهِ   مَا كَانَ وَ السُّدُسُ أَقْصَى سَهْمِهِ
[5]- إشارة لقول صاحب تحفة الحكام (فصل في ذكر موانع الميراث)
الكُفْرُ والرِّقُ لِإرْثٍ مَنَعَا   وَإِنْ هُمَا بَعْدَ المَمَاتِ ارْتَفَعَا
[6]- إشارة لقول صاحب تحفة الحكام (فصل في ذكر موانع الميراث)
وَ مُطْلَقًا يَمْنَعُ قَتْلُ العَمْدِ
[7]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر موانع الميراث)
[8]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر أهل الفروض وأصولها)
[9]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر موانع الميراث)

ليكون الكلام على الموانع متصلا بعضه ببعض. ويكون الختم بهذين البيتين موافقا لختم المختصر. فإنه مختوم بالكلام على الخنثى إذ قال : وللخنثى المشكل نصف نصيبي ذكر وأنثى. إلى آخره، وقد ذكر الناظم رحمه الله هنا حكم الخنثى المشكل وبماذا يزول إشكاله. ومقدار إرثه. وجعل الكلام عليه في هذا الفصل رعاية لقول من جعله من الموانع في الحال. كما فعل ابن شاس وابن الحاجب وغيرهما. لأنه لا يعجل القسم حتى ينظر في حالته هل هو مشكل أولا. فإذا تبين أمره بالعلامات المذكورة قسم الميراث. وحكم له بحكم ما تبين فيه. وإن أشكل فيعطى حينئذ نصف نصيبي ذكر وأنثى. كما قال الناظم: وارث خنثى البيتين. ومعنى كلامه أن ميراث الخنثى يعتبر بما له. ويقتصر في الحكم على ما ظهر منه. فإن بال من محل الذكر فله حكم الذكر. وإن بال من فرج الأنثى فله حكمها. وإن بال من محل الذكر وفرج الأنثى معا فهو الخنثى فله المشكل. وهو الذي إذا أطلقه الفرضيون انصرف إليه وارثه على هذا نصف نصيبي ذكر وأنثى. وهذا ما ذكره الناظم رحمه الله على سبيل الإجمال. وأما تفصيل الكلام فيه فهو من وجوه:

الوجــه الأول

في اشتقاقه وتعريفه وعود الضمير عليه. اعلم أن الخنثى بالخاء المعجمة والمثلثة مأخوذ من مصدر خنث. بوزن فرح. كانخنث بمعنى تثنى وتكسر. وهو على وزن حبلى. ويجمع على خناثى. كحبالى. وعلى خناث كإناث. ومنه:

لَعَمْرُكَ مَا الخِنَـاثُ بَنُـو قُشَيْـرٍ ... بِنِسْـوَانٍ يَلِـدْنَ وَلا رِجَـــالِ[1]

وتخنث في كلامه كذلك. والخنث ككتف من فيه انخناث وتثن. وهو المسترخي المتثني. والاسم من الانخناث الخنث. قال جرير:

أتوعدني وأنت مجاشعـــي ... أرى في خنث لحيتك اضطرابـا[2]

وفي حديث لمولاتنا عائشة رضي الله عنها أنها لما ذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته قالت: فانخنث في حجري فما شعرت حتى قبض[3]. أي فانثنى وانكسر. لاسترخاء أعضائه صلى الله عليه وسلم. والتخنيث مصدر خنثه المضعف بمعنى عطفه. فتخنث تعطف. ومنه المخنث بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول معا. وهو الرجل المتشبه بالنساء في الإنثناء والتكسر.

---

[1]- أنظره في لسان العرب، لابن منضور، مادة الخاء (خنث) وفي محيط المحيط، لبطرس البستاني (مادة خنث)

[2]- البيت للشاعر العربي جرير بن عطية الخطفي اليربوعي، قاله ضمن قصيدة يهجي بها الفرزدق، قال في مطلعها:

ألا حي المنازل بالجنابِ ... فقد ذكَّرْنَ عهدك بالشباب

[3]- إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن الأسود قال: ذكر عند عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي، فقالت من قاله؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست فانخنث فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي؟ صحيح البخاري (كتاب المغازي) باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم رقم 4346.

وقال بعض فقهاء اللغة: إذا أريد بالمخنث من يفعل الفاحشة فهو على صيغة اسم المفعول لاغير. وقال بعضهم خنث الرجل كلامه بالتثقيل إذا شبهه بكلام النساء لينا ورخامة. والرجل مخنث بالكسر. ويقال للمخنث خناثة بالضم كما ضبطه الصاغاني. خلافا لما يفهم من تقرير المصباح من أنه بالكسر. كما قاله الشيخ مرتضى الشريف الحسني رحمه الله، وتصغيره خنيثة. وقيل الخنثى المشكل مأخوذ من قولهم خنث الطعام من باب تعب إذا اشتبه أمره. فلم يخلص طعمه المقصود منه. وشارك طعم غيره لاشتراك موجب الشبهتين. وهو الآلتان. وحينئذ يحصل الإشتباه.

وفي القاموس: خنثه كضرب يخنثه هزء به. وفي الأساس: خنث له بأنفه كأنه يهزأ به. وخنث فم السقاء ثنى فاه وكسره إلى خارج فشرب منه كاختنثه. وإن كسره إلى داخل فقد قبعه. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن اختناث الأسقية[1]. وقيل خنث فم السقاء إذا قلب فمه داخلا كان أو خارجا. وكل قلب يقال له خنث[2]. وأصل الاختناث التكسر والتثني. قال الشيخ مرتضى: ومنه الخنثى. والخنثى فرس عمرو بن عمر بن عدس كزفر. طلبه عليها مرداس بن أبي عامر السلمي يوم جبلة. ففات فقال مرداس:

تمطت كميت كالهراوة صلـــــدم بعمرو بن عمرو بعدما مُسَّ باليد
فلولا مَدي الخنثى وطول جرائهــا لرحت بطيء المشى غير مقيــد[3]

وألف الخنثى للتأنيث. وليست للإلحاق كما يقول بعضهم. لأن ما فيه ألف الإلحاق لا يكون على وزن فعلى بضم الفاء. وهو ممنوع من الصرف لقول الألفية:

وَأَلِفُ التَّأْنِيثِ مُطْلَقًا مَنَــــعْ صَـرْفَ الَّذِي حَـوَاهُ كَيْفَ مَا وَقَــــعْ[4]

ولا يؤتى بضمائره إلا مذكرة وإن اتضحت أنوثته، لأن مدلول لفظه شخص.

الوجـه الثانـي

في تعريفه وذكر السبب في نقصان خلقته. اعلم أنهم عرفوا الخنثى بأنه من له آلة الذكر وفرج الأنثى. ويوجد منه نوع ليس له واحدة منها، وقال التتائي رحمه الله في شرح الغمارية: الخنثى المشكل هو الذي يكون له فرجا الذكر والأنثى. على صفتهما غير ناقصتين عنهما. فلو كان له فرج المرأة وذكر من غير خصيتين أو خصيتان بلا ذكر فامرأة بلا إشكال. وكذا لو كان له ذكر وخصيتان وله ثقبة في موضع الفرج ناقصة عن صورة فرج المرأة سواء كانت نافذة أم لا فرجل.

[1]- إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن اختناث الأسقية، قال عبد الله: قال معمر أو غيره: هو الشرب من أفواهها. إهـ. صحيح البخاري (كتاب الأشربة) باب اختناث الأسقية رقم 5499 رقم 5498. صحيح مسلم (كتاب الأشربة) باب آداب الطعام والشراب رقم 5227 رقم 5228.

[2]- قاله ابن شميل، أنظر تهذيب اللغة للأزهري (باب العين والقاف مع الباء)

[3]- أنظر القاموس المحيط للمرتضى الزبيدي (مادة خنث)

[4]- البيت من ألفية ابن مالك، وهو البيت رقم 650

وإنما المشكل من له الفرجان الكاملان. أولا فرج له وإنما له ثقبة يبول منها[1]. وهذا القسم الأخير قليل جدا. حتى قيل بعدمه. وأما ما قبله فقد وجد. لكنه قليل بعد الاتفاق على وجوده.

وقد ذكر الإمام القزويني في كتابه عجائب المخلوقات في سبب الذكورة والأنوثة ما نصه: زعم بعضهم أن السبب لذلك زيادة حرارة خلقها الله تعالى للمادة التي يخلق منها الذكر ونقصان المادة التي يخلق منها الأنثى. وكذلك تبرز أعضاء التناسل من هذا وتخفى من هذا، ثم إذا كانت الحرارة الغريزية في أصل الخلق كاملة خرج الذكر تام الأعضاء. قوى التذكير. وإن نقصت نقصت قوة تذكيره. فتشبه أفعاله أفعال النساء. وهكذا قوة التأنيث. فإن من الإناث من تشبه أفعالها أفعال الرجال، وإذا تصورت هذه المراتب فربما يقع فيها مرتبة غريبة بعيدة الاتفاق. فيكون المولود لا ذكر ولا أنثى. بل خنثى إلى آخر كلامه.

الوجـه الثالـث

في المعاملات التي يزول بها إشكاله. وهي عشرة وفاقا وخلافا. والمشهور منها سبعة. أشار إليها الشيخ خليل رحمه الله بقوله: فإن بال من واحدة وكان أكثر أو أسبق. أو نبتت له لحية أو ثدي. أو حصل له مني أو حيض فلا إشكال، ولم يعتمد ناظمنا هنا إلا المبال. وزاد بعضهم على السبعة المذكورة الولادة أو الشهوة وعد الأضلاع. وقد جمعت هذه العشرة في قولي:

يتضح الخنثى من الإشكال	بعشر أشياء بلا إشكال
ببوله من أحد الفرجين أو	كثرته أو سبقه فيما حكوا
والحيض مع ولادة مني	كذا نبات لحية أو ثدي
وشهوة منه على المعتاد	ومثله الأضلاع بالتعداد

فالبول يكون للذكر والأنثى. إلا أنه إن صدر من الخنثى من آلة الذكر فهو ذكر. وإن كان من فرج أنثى فهو أنثى. كالسبقية من أحدهما. وكذلك يعمل على كثرة البول من أحد الفرجين. ومعنى الكثرة أن يكون بوله من أحد الفرجين كثيرا. ومن الفرج الآخر قليلا. ويعرف ذلك بكيل أو وزن على المشهور. وأنكر الشعبي رحمه الله ذلك وقال: لا ينظر للقلة والكثرة في البول بكيل أو وزن. بل بالنظر لتكرر خروجه.إهـ..

فإن اجتمعت الكثرة و السبقية عمل على السبقية. وأما الحيض فهو خاص بالأنثى، فإذا حاض الخنثى فهو أنثى بلا إشكال، وللحيض أسماء جمعها الشيخ عبد الباسط البلقيني رحمه الله في قوله:

وللحيض أسماء ثلاث وعشرة	محيض محاض كيد وإعصار
دراس وضحك ثم طمت عراكها	وضيف وإشهاد نفاس وإكبار

قالوا والحيض كما يكون في أنثى بني آدم كذلك يكون لبعض الحيوانات. جمعها من قال:

---

[1]ـ أنظر شرح الخرشي لمختصر خليل (باب في الفرائض) إرث الخنثى المشكل

تحيـض أنثــى حيـوان وقــد | عــدت بخمــس عندمــا تحســب
أنثـــــى بنــي آدم مــع كلبــة | والضبـــع والخفـــاش والأرنــب

وذيلتها بما زاده عليها بعضهم بقولي:

وناقـة مـع حجـرة وزغــة | بنــات وردان لمــن يطلـــب

ومن عجيب قدرة الإلـه أن الأرنـب علـى مـا حكـاه الـثقاة تكـون عامـا ذكـرا وعامـا أنثـى، وقـد ورد الحديث لحيضـها، روى أبـو داوود فـي سننه مـن حديث جابـر بـن الحـويرث عـن عبـد الله بـن عمـر رضـي الله عنهما أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال فـي الأرنـب إنهـا تحيض، وجـابر بـن الحـويرث قـال فيه ابـن معين لا أعرفه، وذكـره ابـن حبـان فـي الـثقاة. ولا يعـرف لـه إلا هـذا الحـديث، وروى البيهقي عن ابـن عمـر أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم جيء لـه بأرنب فلم يأكلهـا ولم ينـه عنهـا. وزعـم أنها تحيض[1].هـ

ومـا ذكرنـاه أولا مـن أنـه يكـون الخنثـى فـي غيـر الآدمـي صـحيح، ومـن أعجـب مـا يحكـى مـا ذكـره العلامـة الدميري فـي حيـاة الحيـوان عـن ابـن الأثيـر فـي الكامـل. ذكـره مـن حـوادث سـنة 623هـ: أن صـديقا لـه اصـطاد أرنبـا لـه أنثيـان وذكـر وفـرج أنثـى، فلمـا شقوا بطنـه رأوا فيـه مـا يـدل علـى ذلك، قـال: وأعجب من ذلك أنـه كـان لنـا جـار لـه بنت اسمها صفية. بقيت كذلك نحو الخمسة عشر سنة. ثم طلع لها ذكر ونبتت لها لحية. وصـار لهـا فرج رجل وفرج امرأة[2]. إهـ..

فـإن اجتمـع بـول الخنثـى مـن محـل الـذكر مـع الحـيض فهـو خنثـى مشـكل، وأمـا نبـات اللحيـة فهـو مـن علامـة الرجوليـة، فـإذا نبتـت للخنثـى لحيـة فهـو ذكـر ولا إشـكال حينئـذ. كمـا أن نبـات الثـدي يـدل علـى أنوثتـه، فأمـا اللحيـة وهـي الشـعر النـازل علـى الـذقن فنباتهـا للمـرأة نـادر. فـلا يلتفت إليـه كالثـدي الكبيـر، فهـو مـن خاصـة النسـاء، فـإن نبتـا معـا فهـو مشـكل. قـال الإمـام التتـائي وغيـره : وإنمـا زال الإشـكال بنبـات اللحيـة لأن أصـل نبـات الشـعر مـن البيضـة اليسـرى. ومـا قالـه رحمـه الله مخـالف لمـا ذكـره اللقـاني عـن ابـن حبيـب مـن أن مـن ذهبـت بيضـته اليسـرى لا يلاعـن لنفـي الحمـل. لأنهـا تنضـج المنـي، كمـا قالـه أهـل الطب والتشريح. فإذا فقدت فقد فقد الولـد، واليمنـى لنبـات الشـعر. إهـ..

وأمـا المنـي فيـزول بـه الإشـكال. لكـن ينبغـي أن يكـون بصـفة منـي الرجـال فيمـا إذا أمنـى مـن الـذكر، وإن كـان مـن الفـرج فينبغـي أن يكـون بصـفة منـي النسـاء، وأمـا الشـهوة فـذكر بعضـهم أنهـا يـزول بهـا الإشـكال. وذلـك بـأن ينظـر فـي الخنثـى، فـإن كـان يميـل للنسـاء ويحـب مجالسـتهم ومباسـطتهم فهـو ذكـر. وإلا فهـو أنثـى، وأمـا الـولادة فإمـا أن تكـون مـن الصـلب أو الظهـر، فـإن ولـد الخنثـى مـن بطنـه فإنـه يرتفـع بـولادتـه الإشـكال ولا إشـكال، وأمـا الـولادة مـن الصـلب إن وقعـت فهـو ذكـر. إلا أنهـم قـالوا الـولادة مـن الظهـر لا يكـاد يقطـع بهـا، وقـد قيـل أنهـا نزلـت بسـيدنا علـي كـرم الله وجهـه. جاءتـه امـرأة خنثـى زعمـت

---

[1]- إشارة للحديث الذي رواه أبو داوود في سننه عن أبي خالد بن الحويرث قال: إن عبد الله بن عمرو كان بالصفاح، قال محمد: مكان بمكة، وإن رجلا جاء بأرنب قد صادها، فقال: يا عبد الله بن عمرو ما تقول؟ قال قد جيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالس فلم يأكلها ولم يَنْهَ عن أكلها، وزعم أنها تحيض. إهـ.. سنن أبي داوود (كتاب الأطعمة) باب في أكل الأرنب رقم 3792

[2]- أنظر حياة الحيوان الكبرى للدميري (مادة الأرنب)

أنها متزوجة بابن عمها. وأنها وطئت أمتها فحملت الأمة منها، فأمر الأمة فعدت أضلاعها لكونها لم يصدقها في أن الحمل منها، فأخبرته أنها كأضلاع الرجل، فألبسها ثياب الرجال. وسأل ابن عمها عن حمل الأمة منها فصدقها. وقال له: هل وطئتها بعد أن حملت الجارية منها، فقال: نعم. فقال له: إنك أجرأ من خاصي الأسد[1]. وخاصي يقرأ بالياء دون همز، وضرب له هذا المثل في إقدامه على الفعل بعد علمه ما صدر من هذه الخنثى.

وأصل هذه المقالة أن العرب كانت تقول في ملاحمها أن أسدا وقف على حراث يحرث بثورين في غاية السمن والقوة، فقال الأسد للحراث: ما الذي أطعمتهما حتى سمنا، فلعلي آكله أنا فيحصل لي ما حصل لهما من السمن والقوة، فقال له الحراث: سمنا من أجل أني خصيتهما. فقال له الأسد: فأخصني. فقال: لا. لأن للخصاء ألما شديدا فإن أخصيتك وأحسست بالألم عدوت علي وقتلتني. فقال له الأسد: أنا أعطيك عهد الله لا أوذيك. فأخصاه. فوجد ألما شديدا. فنهض إلى جبل وهو يتوجع من شدة الألم. وهو يشتم الحراث. ولم ينقض العهد والميثاق. إهـ..

وهذه الحكاية يؤتى بها في الملاحم لتهذيب أخلاق الشخص السامع لها. فلا يرضى بنقض عهده وميثاقه. ولو وقع في شدة. لأن هذا حيوان ومع ذلك فلم ينقض عهده. فكيف بمن يعقل بعده. وكذلك يستفاد منها أن الشيء الذي تشتهيه النفس يوقع الشخص فيما يؤول إلى الضرر العظيم. وفيها غير ذلك، و أما عد الأضلاع فقد قال به سيدنا علي كرم الله وجهه كما في القضية المذكورة، وهو مذهب الحسن وغيره. ومذهب الأكثر أنه لا يعتبر، قال الإمام ابن عرفة: النظر إلى عد الأضلاع ضعيف. لإجماع أهل التشريح بالغين حد التواتر على خلافه. وأنه لا فرق بين الذكر والأنثى من الجانبين.إهـ.. والذي يقول بالعد اختلفوا. فمنهم من قال أن المرأة من كل جانب ثمان عشرة ضلعا. بكسر الضاد وفتح اللام. وقد تسكن. وللرجل من الأيمن كذلك. ومن الأيسر سبع عشرة. وهو قول ابن يونس. وقال الحوفي[2]: في سبع عشرة للمرأة وللرجل من الأيسر ست عشرة. وسبب نقصه ضلعا عن المرأة ما ورد في بعض الأحاديث المذكورة في كتب القصص والتاريخ.

وقد نقل في ذلك الشيخ حسين بن محمد الديار بكري في كتابه الخميس روايات. فلنذكر كلامه هنا تتميما للفائدة. ونصه: قال وهب وجماعة: خلق الله حواء خارج الجنة. ثم أمرها بدخول الجنة. ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم: خلقها في الأرض و آدم بين مكة والطائف. ثم حملا على سرير إلى الجنة، وقال بعضهم: خلق الله آدم و أمر بحمله على سرير إلى سماء الدنيا. فلما وصل إلى باب الجنة وضع السرير. وألقي عليه النعاس. وخلقت حواء من ضلعه اليسرى. ثم أمر بدخول الجنة.

وقال ابن عباس و ابن مسعود وجماعة: خلقها في الجنة بعد دخول آدم فيها. فالمرأة أصلها من الجنة. ولهذا أبيح لها الحرير والذهب. وهما لأهل الجنة، وفي تفسير الثعلبي: أن آدم عليه السلام لما هب من نومه رآها عنده. أو قال عند رأسه كأحسن ما خلق الله. فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا

---

[1]- أنظر مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، عند قول المصنف (وللخنثى المشكل نصف نصيبي ذكر وأنثى)

[2]- علي بن إبراهيم الحوفي، أديب نحوي مفسر، من أعلام مصر، له مؤلفات كثيرة منها: الموضح في النحو، والبرهان في تفسير القرآن، والإرشاد لطريق خير العباد والعبَّاد، وإعراب القرآن، إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى.
توفي في مستهل شهر ذي الحجة الحرام عام 430 هـ-1039م. أنظر ترجمته في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي 2: 140 رقم 1648. الأعلام للزركلي 4: 250. معجم المؤلفين لكحالة 7: 5-6.

زوجتك، خلقني الله لك تسكن إلي و أسكن إليك، فقالت الملائكة عند ذلك: يا آدم ما هذه؟ قال امرأة، فقالوا: لم سميت بذلك؟ قال: لأنها خلقت من المرء. قالوا: وما اسمها؟ قال: حواء. قالوا: لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي. قالوا: تحبها؟ قال: نعم. فقالوا لحواء تحبينه؟ قالت: لا. وفي قلبها أضعاف ما في قلبه. قالوا: فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء[1]. قال ابن عباس: إن الله تعالى خلق حواء من آدم في الجنة من ضلعه اليسرى. يقال له القصيري. وكان بين النائم واليقظان. ولو كان في النوم لم يعلم أنها خلقت منه. فلم يعطف عليها. ولو كان يقظان لتألم لذلك فلم يعطف عليها. قال الشاعر:

هي الضلعة العوجاء ليست تقيمها	ألا أن تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفا واقتدارا على الهوى	أليس عجيبا ضعفها واقتدارها[2]

وفي بحر العلوم قال الله تعالى: يا آدم هذه زوجتك خلقتها منك لأجلك أفترضى. قال: رضيت، هذه لحمي و دمي وزوجي و قرة عيني. و في المواهب اللدنية: فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده لها، قالت الملائكة: مه يا آدم. قال: ولم وقد خلقها الله لي. فقالوا: حتى تؤدي مهرها. قال: وما مهرها؟ قالوا تصلي على محمد ثلاث مرات، وذكر ابن الجوزي في كتابه سلوة الأحزان أنه لما رام القرب منها طلبت منه المهر. فقال: يا رب ماذا أعطيها؟ قال: يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل.إهـ.. وفي رواية مائة مرة، وقد جاء بعض الشعراء يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :

وأبوك آدم إذ رأى حـــوا وقد	زفت بأنواع الحلي والجوهـر
صلى عليك فكان ذلك مهرها	والحور بين مهلل ومكبـــر

ثم قال صاحب الخميس: فعند ذلك زوجها الله إياه، وهذه خطبة نكاح آدم وحواء خطبها الله تعالى: الحمد ثنائي. والعظمة إزاري. والكبرياء ردائي. والخلق كلهم عبيدي وإمائي. اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي وسكان سمواتي. أني زوجت حواء أمتي عبدي آدم بديع فطرتي وصنع يدي. على صداق تقديسي وتسبيحي وتهليلي. يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها[3] الآية. إهـ..

ويؤيد ما تقدم من أنها مخلوقة منه ما ورد في حديث الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم: إن المرأة خلقت من ضلع أعوج[4]. الحديث.

---

[1]- تفسير الثعلبي سورة البقرة الآية 30، قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة

[2]- ذكرهما القرطبي في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن، عند قوله تعالى: وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة. إلخ..

[3]- سورة البقرة، الآية 35

[4]- إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء. إهـ.. صحيح البخاري (كتاب الأنبياء) باب خلق آدم وذريته رقم 3261 (كتاب النكاح) باب الوصاة بالنساء رقم 5065، صحيح مسلم (كتاب الرضاع) باب الوصية بالنساء رقم 3602

الوجــه الرابــع

في أول من حكم فيه أما في الإسلام فقد أخرج البيهقي من طريق يعقوب بن إبراهيم القاضي عن الكلبي وله شاهد عن علي موقوفا كما ذكره الحافظ السيوطي في تعقبه على موضوعات ابن الجوزي، وهو مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسو ل الله صلى الله عليه وسلم عن مولود ولد وله قبل وذكر من أين يورث؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يورث من حيث يبول[1]. أي يجعل وارثا من حيث يبول فيورث. في الحديث الشريف من أورثه إذا جعله وارثا لا من ورث مضعفا. لأن معنى ورثه بالتضعيف أدخل على الورثة من ليس منهم فجعل له نصيبه. ولا شك أن معنى الحديث ليس كذلك، ولا من ورث الثلاثي المبني للمفعول. بمعنى يرثه غيره. كما يتبادر من اللفظ أن السؤال ليس عن هذا واقعا.

قال ابن غازي بعد أن قدر نحو ما تقدم: ولما مر بعض من عاصر شيوخنا من هذا الوهم أي وهو لو قرأناه يورث لتوهم أنه من ورث فيكون موروثا لا وارثا وليس بمقصود، قال: إنما هو يورث بالتشديد. ثم قال: قلت إن وردت بالتشديد رواية فيجب المصير إليها. وإلا فلفظ يورث بإسكان الواو وتخفيف الراء المفتوحة يؤدي المعنى الذي ذكرناه أتم تأدية وأبلغها. سيما وهو المحفوظ. قال تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا[2]. بل ظاهر كلام الجواهر أن أورث بهمزة التعدية موضوع لما نحن بصدده والله أعلم.إهـ..

وروى مجاهد عن الشعبي أن سيدنا علي كرم الله وجهه حكم في الخنثى بأنه يورث من قبل مباله[3] وهذا الذي صدر من سيدنا علي إخبار بحكم شرعي على وجه الإلزام. فهو أول من حكم به في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم. قيل وما ورد في الحديث قبله إنما خرج منه عليه السلام مخرج الفتوى. لأنه سئل من أين يورث فأجاب بذلك. ولم يتكلم به على وجه الإلزام، و أما أول من حكم فيه في الجاهلية فهو عامر بن الظرب[4] بفتح الظاء المشالة وكسر الراء، كما ضبطه العدوي وغيره. وهو آخر حكام العرب. كانت العرب في الجاهلية لا تقع لهم معضلة إلا أتوا إليه واختصموا لديه ورضوا بحكمه. وكان مع ذلك مشركا. فأتوا إليه مرة وسألوه عن خنثى. وقالوا له أنجعله ذكرا أم أنثى؟ فقال: أمهلوني. فبات ليلته ساهرا. وفي رواية أقاموا عنده أربعين يوما. وهو يذبح لهم كل يوم. وكانت له أمة يقال لها سخيلة. فقالت له: إن مقام هؤلاء عندك قد أسرع في غنمك. وكانت ترعى له غنما. وكانت تؤخر السراح والرواح حتى تسبق. وكان يعاتبها في ذلك فيقول لها: أصبحت يا سخيلة. أمسيت يا سخيلة. فلما رأت سهره و قلقه قالت له: مالك في ليلتك هذه قد بت ساهرا. فقال لها: ويلك دعي أمرا ليس من شأنك. فأعادت عليه السؤال. فذكر لها ما بدا له. فقالت

---

[1]- رواه البيهقي في سننه (جماع أبواب الجد) باب ميراث الخنثى 9: 350 رقم 12658 رقم 12662

[2]- سورة فاطر، الآية 32

[3]- سنن الدارمي (كتاب الفرائض) باب في ميراث الخنثى 2: 365 رقم 2969، مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الفرائض) باب في الخنثى يموت كيف يورث 7: 374 رقم 27099

[4]- عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني يقال له (ذو الحلم) من رؤساء الجاهلية، كان زعيمًا لقبيلة مضر وأحد كبار فرسانها، كما كان حاكما خطيبا، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهمًا، ولا بحكمه حكما، وهو ممن حرم الخمر في عهد الجاهلية. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 3: 252

لـه: سبحان الله اتبع القضـاء المبال. فقال: فرجتها و الله يـا سخيلة. أمسي بعدها أو اصبحي، فخرج حين أصبح فقضى بذلك[1].

وفـي هذه القضـية فوائد لا بـأس بذكرها هنا تتميما للفائـدة. الأولـى إذا كـان هذا المشرك مـع ظلمـة جاهليته توقف عن الإقدام علـى الحكم فـي هذه النـازلـة أربعين يـوما حتـى فتح الله علـيه بمن ألـهمه الرشد الموفق للصواب. فكيف لا يقتدي غيره به في عدم المسارعة للجواب. حتى لا يفتي بغير علم لـم يـأت بـه سنة ولا كتاب. ولا يقدم على الحكم والقضاء بسرعة ربما توجب من مولاه عدم الرضى فهاتـان نكتتان ضـمن هذه الفائـدة. تنبـئ بنـزول صـواعق مـع زواجر لمن يتجاسـر علـى ذلك. فأمـا الفتوى بغير علم فـلا يخفـى مـا فيها من الوعيد. المنبـئ بـالعذاب الشديد. وإذا كان الإقدام عليها مع العلم خطيرا فكيف بغير علم.

وقد كانـت الصـحابة رضـوان الله علـيهم إذا سـئل أحدهم في مسألة أو أستفتي في نازلـة يـود أن غيره كفاه الجواب. كما قـال ابن أبـي ليلى. وقال مرة أخرى: أدركت ثلاثمائة يسأل أحدهم عن الفتوى أو الحديث فيرد ذلك إلى آخر. ويحيل الآخر على صاحبه. وكانوا يتدافعون الفتوى فيما بينهم[2]، وأخرج ابـن عسـاكر عن سيدنا علي كرم الله وجهه كما في الجامع الصغير: من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض[3].

وقـال الشـعراني فـي تنبيه المغترين : فـلا تظن يا أخي أن واحدا من السلف كان يحب التقدم في أمر مـن أمـور الدنيا. كان أحدهم يكره الفتيا ويقول إن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : المفتي يدخل فيما بـين الله و بـين عباده[4]. وروى المحاسبي: ما من عالم إلا و يسأل عن ثلاثة أشياء، عما أفتى بـه، هـل كـان مـن علـم أو جهـل. وهـل قصـد بـه وجـه الله العظـيم أو غيـره. وهـل أراد وصـول الفائـدة والنصـيحة أو الكبر والإستعلاء. وعلى هذا فالجواب على المشفق على نفسه الخائف من سطوة ربه قبل موتـه وبعد حلول رمسـه. إذا سئل عن مسألة أن يتأنـى فـي الجواب. ولو علم أنه على صواب. حتـى يتضـح الحق لـه عيانا. وإذا سئل عما لا يعلمه أو هو على شك منه فيجيب بقوله لا أدري. ولا يستحي من ذلك. فقد قالهـا النبـي صـلى الله عليه وسلم كمـا فـي الحديث الصحيح أنه سئل عن خير البقاع وشرها فقال: لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام. فسأله فقال جبريل: لا أدري حتى أسأل

[1]- أنظر مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (باب الفرائض) عند قول المصنف وللخنثى المشكل نصف نصيبي ذكر وأنثى.

[2]- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول.
وفي رواية أخرى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله من الأنصار، ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا ود أخاه كفاه، ولا يحدثه حديثا إلا ود أخاه كفاه. إهـ.. أنظر كتاب العلم، لزهير بن حرب الشهير بأبي خيثمة 1: 14 رقم 21. سير أعلام النبلاء، للذهبي (الطبقة الأولى من كبار التابعين) ترجمة عبد الرحمن بن أبي ليلى 3: 215 رقم 463.

[3]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الميم مع النون) 6: 514 رقم 20331. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الميم) 3: 167 رقم 11473

[4]- قال المناوي في فيض القدير لشرح الجامع الصغير: قال ابن النكدر: المفتي يدخل بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يفعل، فعليه التوقف والتحرز لعظم الخطر، وكان ابن عمر إذا سئل قال: اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمر الناس فضعها في عنقه، وقال: يريدون أن يجعلونا جسرًا يمرون علينا على جهنم، فمن سئل عن فتوى فينبغي أن يصمت عنها ويدفعها إلى من هو أعلم منه بها، أو من كلف الفتوى بها، وذلك طريق السلف.

رب العزة. فسأله فقال جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته: إن خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق[1].

و روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : العلم ثلاث كتاب ناطق وسنة ماضية و لا أدري[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: أربع لو شدت إليهن الرجال لكان قليلا. لا يرجو العبد إلا ربه. ولا يخاف إلا ذنبه. ولا يستحي الجاهل أن يتعلم. ولا يستحي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم. وفي وصية إمامنا مالك رضي الله عنه ليحيى بن يحيى: أوصيك بثلاث. الأولى أجمع لك فيها علم العلماء. والثانية أجمع لك فيها حكمة الحكماء. والثالثة أجمع لك فيها طب الأطباء. أما التي أجمع لك فيها علم العلماء فإذا سئلت عن شيء لا تدريه فقل لا أدري. وأما التي أجمع لك فيها حكمة الحكماء فإذا جلست مع قوم فكن أصمتهم. فإن سلموا سلمت معهم. وإن أخطأوا سلمت من خطاهم. وأما التي أجمع لك فيها طب الأطباء فارفع يديك من الطعام وأنت تشتهيه[3]. وقال أيضا رضي الله عنه: جنة العالم لا أدري فمتى أخطأها أصيبت مقاتله[4] ونظمه من قال:

إذا ما علمت الأمر حقا فقل بــه — وإياك والأمر الذي أنت جاهلــه
ومن كان يهوى أن يرى متصدرا — ويكره لا أدري أصيبت مقاتلـــه[5]

والحاصل أن رد العلم إلى الله فيما لا يعلمه الشخص ما فيه إلا السلامة في الدنيا و الآخرة. و أعظم بالسلامة من كرامة ظاهرة ومنقبة فاخرة. وفي ذلك كنت قلت:

إذا مـــا سئـلت ولا تعلــم — فقـل لســـت أدري ولا تحشـــم
ورد إلــى الله ذاك فمـــن — إلـــى الله قـــد رده يسلـــــم

وروى الدارمي والبيهقي عن الشعبي من قوله: لا أدري نصف العلم[6]. وعقده الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الدمشقي بقوله:

---

[1]- صحيح ابن حبان (باب المساجد) ذكر البيان بأن خير البقاع المساجد 3: 49 رقم 1978. سنن البيهقي الكبرى (كتاب النكاح) باب كان لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى 10: 177 رقم 13494. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الصلاة) باب فضل المساجد ومواضع الذكر والسجود 2: 108 رقم 1927. المستدرك، للحاكم (كتاب العلم) 1: 167 رقم 313 (كتاب البيوع) 2: 9 رقم 2187. الترغيب والترهيب، للمنذري (كتاب الصلاة) الترغيب في المشي إلى المساجد، سيما في الظلم وما جاء في فضلها 1: 136 رقم 491.

[2]- مجمع الزوائد (كتاب العلم) باب ثان منه في اتباع الكتاب 1: 418 رقم 801. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف العين المحلى بألف) 5: 226 رقم 14516. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف العين) 2: 250 رقم 7979. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 1981 رقم 28660

[3]- ذكرها العلامة سيدي حسن اليوسي في كتابه زهر الأكم في الأمثال والحكم، وذلك بصيغة مشابهة، حيث قال: ويقال أن مالكا رضي الله عنه لما ودع يحي بن يحي قال له: أوصيكم بأربع كلمات، الأولى أجمع لك فيها فقه الفقهاء، إذا سُئِلت عن شيء لا تعرفه فقل لا أدري، والثانية أجمع لك فيها حكمة الحكماء، إذا جالست قومًا فكن أصمتهم، فإن أصابوا أصبت معهم، وإن أخطأوا سلمت، والثالثة أجمع لك فيها طب الأطباء، أن تضع يدك في الطعام وأنت تشتهيه، وترفع يدك وأنت تشتهيه، فإنك إذا فعلت ذلك لم يصبك مرض إلا مرض الموت. إهـ.. أنظر زهر الأكم في الأمثال والحكم، لليوسي ص 81، عند شرحه للمثل القائل: البطنة تذهب الفطنة.

[4]- أنظر سير أعلام النبلاء، للذهبي (الطبقة السابعة) ترجمة الإمام مالك بن أنس 5: 286 رقم 1180

[5]- البيتان للشاعر العربي محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من شعراء العصر العباسي توفي سنة 321 هـ.

[6]- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي (حرف اللام ألف) 1: 280 رقم 464.

أطـل صمتــا و لا تعجــل	بإفتـــاء تفـــز فــــــادري
فكــل العقـل فـي صمـت	ونصــــف العلــــم لا أدري

وأما القضاء بسرعة من غير ترو وتأن في الحكم فربما يوقع القاضي في الضلال. المفضي للوبال في الحال والمآل، ولو لم يرد في وعيد ذلك إلا قوله تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فؤلئك هم الكافرون[1]. فؤلئك هم الظالمون[2]. فؤلئك هم الفاسقون[3]. لكفى في ذلك. لاسيما وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة ترتعد منها الفرائس. فمن ذلك ما رواه أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القضاة ثلاثة إثنان في النار وواحد في الجنة، رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق و جار في الحكم فهو في النار[4]. و أخرج الشيرازي في الألقاب عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: القاضي العدل يجاء به يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أن لا يكون قضى بين اثنين في ثمرة قط[5]. ذكره في الجامع. وورد عنه عليه السلام أنه قال : إن القاضي يأتي يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فيطلقهما عدله ويوثقهما جوره، وعنه أيضا: من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين[6]. إلى غير ذلك. وكان العلامة الجليل سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي كثيرا ما يوصي طلبة مجلسه بالإعتراض عن خطة القضاء وينشدهم :

ألا فاعتبـر يوم القضاء وفصلــه	إذا حشـر الله الخلائـق أفــــــذاذا
فـدع خطة القضـاء ويحك لا تـرم	ولـو كنـت قد وليت مصـرا وبغـدادا

ومن الفوائد التي استنبطت من القضية المتقدمة أن الله سبحانه وتعالى قد يجري الحكمة على لسان من لا يظن به معرفتها كهذه الجارية، ولهذا لا ينبغي للعاقل أن يكتفي بعقله في كل ما نزل به من المعضلات. وعليه بمشاورة غيره ولو كان أحط منه رتبة في العقل والفضل والعلم. وليتلق ما يوافق غرضه منه بالقبول، و في معنى هذا يقول القائل:

لا تحقـرن الـرأي وهو موافـق	وجــه الصــواب إذا أتى من ناقــص
فالـدر وهو أجـل شـيء يقتنــى	مــا حط قيمتــه هــوان الغائـــــص[7]

---

[1]- سورة المائدة، الآية 44

[2]- إشارة لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. سورة المائدة، الآية 45

[3]- إشارة لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. سورة المائدة، الآية 47

[4]- السنن الكبرى للبيهقي (كتاب آداب القاضي) باب إثم من أفتى أو قضى بالجهل رقم 20797 رقم 20800. سنن النسائي الكبرى (كتاب القضاء) ذكر ما أعد الله تعالى للحاكم الجاهل 3: 461 رقم 5884. سنن ابن ماجة (كتاب الأحكام) باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق 2: 776 رقم 2381

[5]- مسند الإمام أحمد (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها) 7: 110 رقم 24071. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الأحكام) باب في القضاء 4: 347 رقم 6986. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع النون) 2: 250 رقم 5186 (حرف اللام مع الياء) 6: 169 رقم 17925.

[6]- سنن أبي داوود (كتاب القضاء) باب في طلب القضاء رقم 3572. مصنف ابن أبي شيبة (كتاب البيوع والأقضية) باب في القضاء وما جاء فيه 5: 357 رقم 18724. مسند الشهاب القُضاعي 1: 246 رقم 396. سنن الدارقطني (كتاب في الأقضية والأحكام وغير ذلك) 4: 130 رقم 4368.

[7]- البيتان للحسين بن علي الطغرائي، صاحب لامية العجم

ومنها أن الشخص إذا كانت له نباهة ورءا من يساعده في حيرته. فينبغي للنبيه أن يطلب منه مشاركته في أمره. ويبدي له ما في ضميره. عسى أن يجد له فرجة يخرج منها من الضيق الذي هو فيه. وربما يكون معه دواء يشفي به علته. أو يشير عليه بما يبرد غلته. ويلح عليه في ذلك كما فعلت هذه الجارية مع سيدها حتى شاركها في أمره. وقبل منها ذلك. ولم يعرض عما أبدته له حين رآه صوابا، فهي نصيحة منها صادقة. ولم يردها عليها لهمته الفائقة. فكيف لا يتخلق بهذا الخلق الشريف غيره. ليزول عنه بذلك ضيره. وقد أنشد أبو العيناء عن الأصمعي :

النصح أرخص ما باع الرجال فَلا	تردد على ناصح نصحا ولا تلم
إن النصائح لا تخفى مناهجها	على الرجال ذوي الألباب والفهم

ومنها الإنصاف. الذي هو من شيم الأشراف. فإنه أنصف لها هذا الجاهلي وجازاها بخير، و كفاها بترك ملامتها عن تأخير الغدو و الرواح. فقال لها: أصبحي بعدها أو أمسي. وترك معاتبتها بعد ذلك. فكيف لا يتحلى غيره ممن ليس في الجاهلية بهذه الخصلة الشريفة، وقد أجاد القائل وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن عبد الحميد الفارقي:

إذا أفادك إنسان بفائدة	من العلوم فلازم شكره أبدا
وقل فلان جزاه الله صالحة	أفادنيها وألغ الكبر والحسدا
فالحر يظهر فضلا للمفيد له	خيرا ويشكره إن قام أو قعدا

وقال العلامة الصعيدي: إنها أي سخيلة لما صارت شيخا له سامحها في التأخير. وهو أدب منه لها. لأنها صارت شيخا. وهي أي الشيخوخة تحصل ولو بمسألة واحدة. كما يشير إليه ما نقل عن سيدنا عيسى عليه السلام أن إبليس قال له: قل لا إله إلا الله. فقال: أقولها لا لقولك. وذلك كما ذكروا أن إبليس أراد أن يكون عيسى تلميذا له بذلك. فحماه الله من ذلك. ونقل أن رجلا من العوام كان إذا قدم على الإمام الشافعي يقوم له. فسئل عن ذلك. فقال: أنا سمعت منه أن الكلب إذا بلغ يرفع رجله عند البول.إهـ.. ورحم الله العارف بالله سيدي عبد العزيز الديريني رضي الله عنه إذ قال من أرجوة له :

وكل من أخذت عنه علما	أو أدبا فهو إمامي حتما[1]

[1]- البيت من قصيدة رجزية للشيخ عبد العزيز الديريني، تقع في 130 بيتا، قال في مطلعها:

الله أرجو ليس غير الله	الله حسب الطالب الأواه

إلى أن يقول:

وكل شيخ نلت منه علما	أو أدبا فهو إمامي حتما
وكل شيخ زرته للبركه	فقد وجدت ريح تلك الحركه
وقد عددت منهم جماعه	اشتهروا بالفضل والبراعه

إلى أن يقول في ختامها:

والحمد لله العظيم القادر	المنعم البر الرحيم الغافر
ثم الصلاة والسلام السرمدي	على النبي المصطفى محمد
ونسأل الله قبول المعذره	والعفو عنا وجميع المغفره

فيجب على من أراد السلامة لنفسه أن يراعي الأدب مع أشياخه. ويخضع لهم بقلبه ورأسه. وقد نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: من استخف بأستاذه ابتلاه الله بثلاث. قصر عمره. وكَلّ لسانه عند الموت. ونسيان ما حفظ. ورضي الله عن الإمام ابن عربي الحاتمي حيث قال:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله   فقم بها أدبا بالله بالله[1]

ومنها الحكم بالعلامة. وقد شرعت الشريعة المطهرة الحكم بها. ومما استدل به على ذلك قوله تعالى : وجاءوا على قميصه بدم كذب. ووجه الدليل أن القميص لما لم يكن فيه خرق ولا أثر أنياب، كان ذلك كذبا. حكى الثعالبي وغيره من المفسرين أن إخوة يوسف كانوا قد اصطادوا ذئبا ولطخوه بالدم. وأوثقوه بالحبال. ثم جاءوا به إلى أبيهم وقالوا: يا أبانا هذا الذيب الذي يحل بأغنامنا ويفترسها. ولعله الذي فجعنا في أخينا لا نشك في ذلك. وهذا دمه عليه. فقال يعقوب: أطلقوه. فأطلقوه. فبصبص له بذنبه. و أقبل يدنو منه. فقال له يعقوب: ادن. فدنا حتى ألصق خده بفخذه. فقال: أيها الذئب لم فجعتني في ولدي وأورثتي بعده حزنا طويلا. ثم قال: اللهم انطقه. فأنطقه الله تعالى. فقال: والذي اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه. ولا مزقت جلده ولا نتفت شعره. والله ما لي بولدك عهد. وإنما أنا ذئب غريب. أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته. فلا أدري أحي هو أم ميت. فاصطادني أولادك. وأوثقوني و أحضروني. وإن لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش. والله لا أقمت في بلاد يفعل فيها أولاد الأنبياء بالوحوش هكذا. فأطلقه يعقوب. وقال لبنيه: لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم. هذا ذيب خرج يتبع ذمام أخيه و أنتم ضيعتم أخاكم. وعلمتم أن الذيب بريء مما جئتم به. بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون[2]. إهـ..

ومنها أن المذاكرة سبب في الإفادة و الاستفادة. ومن أسباب النفع العاجل والآجل. قال ابن أبي ليلى: إحياء العلم مذاكرته. وقال بعض العلماء كما في أدب الدنيا والدين[3]: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم. وقال الشاعر:

---

[1]- هو مطلع أبيات للشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه، ذكرها في كتابه الفتوحات المكية لدى افتتاحه الباب 181، في معرفة مقام احترام الشيوخ ونصها:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله   فقم بها أدبا لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم   على الدلالة تأييدًا على الله
الوارثون هم للرسل أجمعهم   فما حديثهم إلا عن الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم   لا يسألون عن الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولههم   عن الشريعة فاتركهم مع الله
لا تتبعهم ولا تسلك لهم أثرا   فإنهم طلقاء الله في الله
لا تقتدي بالذي زالت شريعته   عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

[2]- سورة يوسف، الآية 18

[3]- كتاب أدب الدنيا والدين، للعلامة الأديب علي بن محمد الماوردي الشافعي المتوفي سنة 450 هـ، رتبه على خمسة أبواب، الأول في العقل، والثاني في العلم، والثالث في أدب الدين، والرابع في أدب الدنيا، والخامس في أدب النفس. إهـ.. أنظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة 1: 45.

إذا لم يذاكر ذوو العلم بعلمه ... ولم يستفد علما نسى ما تعلما
فكم جامع للكتب في كل مذهب ... يزيد مع الأيام في جمعه عما[1]

وقد قيل: حفظ سطرين خير من حمل وقرين. ومذاكرة اثنين خير من هاتين[2]. وهذا إذا كانت المذاكرة مع من لا يجحد. وإلا فتركها أحمد. ورحم الله القائل:

وإذا جلست إلى الرجال و أشرقت ... في جو باطنك العلوم الشرد
فاحذر مذاكرة الجحود فإنما ... تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

ومنها استفادة الحكم في الخنثى. وأنه يورث من محل بوله كما قدمناه. وهناك فوائد أخرى نكتفي هنا بما ذكرناه.

الوجـه الخامـس في مقدار إرثه

اعلم أن الخنثى إذا زال إشكاله فإرثه يكون بالجهة المحققة بعلامتها فيه. وإن بقي على إشكاله فهو يرث نصف نصيبه على فرض كونه ذكرا. ونصف نصيبه على فرض كونه أنثى. ويجمع النصفان ويأخذ ما اجتمع له منهما وهو معنى قول الناظم:

وإن يبل من جهتين الخنثى ... فنصف حضي ذكر وأنثى[3]

وهذا الذي ذكره إنما هو فيما إذا كان إرثه بالجهتين مختلفا. لأن له أحوالا خمسة جمعتها في قولي:

خمسة أحوال أتت للخنثى ... ذات الذكورة وفرج الأنثى
تأخذ نصف حظ كلتا الحالتين ... فيما إذا اختلف إرث الجهتين
وإن ترث من جهة ومنعت ... من جهة بنصف إرث قنعت
وإن تساوى الإرث في الحالين ... فإرثها يكمل دون مين

الحالة الأولى يرث على أنه ذكر وعلى أنه أنثى. إلا أن ميراثه بالذكورة أكثر كما إذا كان إبنا وابن ابن، الثانية عكسه كزوج وإخوة لأم وأخ شقيق أو لأب وهو الخنثى. فهذه الصورة مثل ما قبله في كونه يأخذ نصف حظي ذكر وأنثى. لأن إرثه على الحالتين مختلف فيها. وإليهما أشرت بالبيت الثاني وهو: تأخذ...إلخ، الثالثة يرث على أنه ذكر فقط كما إذا كان عما أو ابن عم، الرابعة عكسه وذلك فيما إذا كان في مسائل العول كالأكدرية. فإنه لا يعال فيها له على أنه ذكر. وإنما يعال فيها على أنه أنثى. والحكم في هذه مع ما قبلها يليها أنه يرث نصف الوجه الذي يرث به ذكرا كان كما في الصورة قبله أو أنثى كما في هذه. وإليهما أشرت بقولي: وإن ترث من جهة. الخامسة يتساوى

---

[1]- قريب من هذين البيتين قول الإمام الشافعي رحمه الله:
علمي معي حيثما مشيت يتبعني ... وعاؤه القلب لا بيتي وصندوقي
إن كان في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

[2]- أنظر زهر الأكم في الأمثال والحكم، لليوسي ص 225، لدى شرحه للمثل القائل: خير العلم ما حُوضِرَ به.

[3]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم، (فصل في ذكر موانع الميراث)

إرثه بالذكورة وبالأنوثة كما إذا كان أخا لأم. فهذا يرث فرضه كاملا لاستواء الحالتين. وإليهما أشرت بقولي : وإن تساوى الإرث. إلى آخر البيت.

وكيفية العمل في ذلك ما أشار إليه الشيخ خليل رحمه الله بقوله: تصحح المسألة على التقديرات ثم تضرب الوفق أو الكل في حالتي الخنثى. وتأخذ من كل نصيب من الإثنين النصف وأربعة الربع. فما اجتمع له فنصيب كل كذكر وخنثى. فالتذكير من اثنين والتأنيث من ثلاثة. فتضرب الإثنين فيها. ثم حالتي الخنثى له في الذكورة ستة والأنوثة أربعة. فنصفها خمسة. وكذلك غيره. وكخنثين وعاصب فأربعة أحوال. تنتهي لأربعة وعشرين. لكل أحد عشر. وللعاصب اثنان. وحاصل ذلك أنك تصحح المسألة على أنه ذكر محقق. وتصححها أيضا على أنه أنثى محققة. ثم تنظر بين المسألتين كما تنظر بين العددين إذا أرت ردهما إلى عدد واحد من تداخل وتباين وتوافق وتماثل. فتكتفي بأحد المتماثلين و بأكبر المتداخلين. أو تضرب وفق أحدهما في كامل الآخر في المتوافقين. أو تضرب الكل في الكل في المتباينين. ثم اضرب الخارج في حالتي الخنثى. واقسم الخارج على التقديرات. فما اجتمع له فيهما فاعطه بنسبة واحد إلى أحوال الخناثي التي بيدك. فيأخذ هو وغيره ممن معه بتلك النسبة. فإن كان بيدك حالان فتعطي لكل واحد نصف ما حصل بيده من مجموع الفرائض. وإن كان أربعة أحوال فتعطيه ربع ما بيده. وعلى هذا القياس فإن كان خنثى واحدا فله حالان. وإن كان اثنان فلهما أربعة أحوال. لأنهما يقدران في حالة ذكرين. وفي أخرى أنثيين. وفي أخرى يقدر أحدهما ذكرا والآخر أنثى. وبالعكس. وهكذا فمهما زاد عدد الخناثي فإنك تضعف عدد الأحوال. فلو كان في الفريضة ذكر واحد وخنثى واحد فبتقدير كونهما ذكرين تكون المسألة من اثنين. وبتقدير كون الخنثى أنثى فمن ثلاثة. فتضرب الإثنين في الثلاثة لتباينهما يكون ذلك ستة. ثم تضرب الستة في حالتي الخنثى باثني عشر تكون صورة ذلك هكذا.

	2		3	6	12	12
ابـنــــا	1				6	
خنثى على أنه ذكـر	1				6	
ابـنــــا			2	4		8
خنثى على أنه أنثـى			1	2		8

فللخنثى في التذكير ستة. وللذكر المحقق ستة. وله في التأنيث أربعة. وللذكر ثمانية. فتنسب واحدا هوائيا لحالتي الخنثى وهو نصف. فيعطى كل واحد نصف ما حصل بيده. فالذي بيد الخنثى في الحالتين عشرة. فيعطى نصفها وهو خمسة. والذي بيدي الذكر المحقق في الحالتين أربعة عشر. فيعطى نصفها وهو سبعة.

ولو ترك الميت خنثيين وعاصبا فإن العمل في ذلك لابد فيه من أربعة أحوال. تعمل فريضة التذكير من إثنين ولا شيء للعاصب. وفريضة التأنيث من ثلاثة للعاصب منهم. ولهما سهمان. ثم تذكير أحدهما فقط وثلاثة أيضا. ثم تذكير الأنثى و تأنيث الذكر من ثلاثة أيضا. فثلاث فرائض متماثلة تكتفي بواحدة منها. وتضربها في حالتي التذكير وهي اثنان بستة. ثم ضربها في الأحوال الأربعة بأربعة وعشرين تكون صورة ذلك هكذا:

	2		3		3		3	6	24	24	24	24
خنثى ذكر	1							3	12			
خنثى ذكر	1							3	12			
		خنثى بنتا	1							8		
		خنثى بنتا	1							8		
		عاصبا	1							8		
				بنتا	1						8	
				ابنا	2						16	
						ابنا	2					16
						بنتا	1					8

فعلى تذكيرهما لكل واحد منها إثنا عشر. وعلى تقدير تأنيثهما يكون لكل واحد منهما ثمانية وللعاصب ثمانية. وعلى تذكير واحد فقط يكون للذكر ستة عشر وللأنثى ثمانية. وكذلك العكس. ثم تجمع ما بيد كل وتعطيه ربعه. لأن نسبة واحد هوائي إلى الأربعة أحوال ربع. وقد علمت أن مجموع ما بيد كل خنثى أربعة وأربعون. لأن له في التذكير اثنا عشر. وفي التأنيث ثمانية. ثم ثمانية أيضا في كونه أنثى والأخر ذكرا. وفي العكس ستة عشر. وبيد العاصب ثمانية. فيعطى لكل خنثى أحد عشر. وللعاصب اثنان. وقس على ذلك وبالله التوفيق .

الوجــه الســادس في مسائل تتعلق به

قال الشيخ الصعيدي رحمه الله: قال إذا حكم له بأحد الأمرين من ذكورة وأنوثة ثم حدثت علامة أخرى تقتضي ضد الأولى. فقال العقباني: لم أقف على شيء إلا ما رأيته لبعض أشياخي. ونصه: إن حكم بأنه ذكر لعلامة ظهرت فيه ثم جاءت علامة أخرى تدل على أنه أنثى أو بالعكس لم ينقل عما حكم له به أولا. كان يبول من الذكر ثم جاء الحيض أو كان يبول من الفرج ثم جاءت اللحية. إهــ.. قال الشيخ سيدي علي الأجهوي: قلت الذي ينبغي اعتبار العلامة الثانية حيث كانت أقوى من الأولى. كما إذا كانت الأولى سبق البول أو أكثريته. والثانية الحمل. إهـ..

ثم لا يخفى أنه ولد من بطنه أو ظهره فأمره واضح. وإن ولد منهما معا فمشكل على ما اختاره بعضهم. وقال الحطاب: فإن ولد منهما معا فقال العقباني: الظاهر أن الحكم لولادة البطن، لأنها قطعية، لكن على مذهب الشافعي. وأما على مذهبنا فالخنثى باق على إشكاله. إهـ.. ويجب تقييد هذا كما ذكر بعض الشراح بما إذا كانت ولادته من الظهر والبطن في آن واحد. وإلا فالعمل بما ثبت له بالمتقدم. ويمتنع بين ما ولد له من ظهره وما ولد له من بطنه الإرث. لأنه لم يجمعهما أب ولا أم. إهـ.. وفي ذلك يقول محبنا الشريف العلوي مولاي عبد السلام المحب الأديب اللغوي يخاطبني ملغزا:

يا فـــرد فـــي علـــم الفـــرا ... ئض قـــد غدا من دون ثـــان
مـــاذا تقـــول حفظـت فـــي ... أخوين لا يتوارثـــــــــــان
مـــع أنـــه لا منـــــع مـــو ... جـــود عـــن التوريث ثان
فأجـــب فحـــل المشكـــــلا ... ت ألذ مـــن نغم المتانـــي

فأجبته بقولي:

ألغزت فـــــي خنثى لـــه ... بطنـــا وصلبـــا مولدان
فلـــواحـــد أمـــا غدا ... وأبا لآخـــر بالبيـــان
من مات مـــن هاذيـــن لا ... ميراث منه يـــرى لثاني
هذا جوابـــي وهـــو مـــن ... خزف ونظمـــك مـن جمان
فاقبلـــــه يـــا بـــدر العلا ... لا زلت تحظـــى بالأمـــان

وكذا يمتنع بينهما النكاح لأن ما خلق الله من مائه بمنزلة ولده في النكاح. وهل يعتق أحدهما على الأخر أو لا لقولهم لم يجمعهما أب ولا أم. والظاهر أنه لا يعتق لما تقدم من أنهما لا يتوارثان. ولا نسب بينهما. وأما لو وطئ فرجه بذكره غلطا وولد له فهو مشكل. ويرثه أولاده بالأبوة والأمومة. وهو يرثهم. وهم إخوة أشقاء على ما ذكروا. ثم قال الشيخ الصعيدي (تنبيه) الخنثى كما يكون في الآدمي يكون في الإبل والبقر. ويجوز التضحية به. ولو كان إشكاله بثقبة يخرج منها البول. لأنه إما ذكر أو أنثى. وكل منهما يجوز التضحية به. فعلى هذا ابن آدم محصور في كونه ذكرا أو أنثى. فلا فرد يخرج عنهما. ويدل عليه قوله تعالى: وما خلق الذكر والأنثى[1]. فهو دليل على أن الخنثى إما ذكرا أو أنثى. فيحنث من حلف لا كلم ذكرا ولا أنثى وكلمه. كما قال بعضهم. والحاصل أن الجمهور على أنه غير واسطة. وأنه واقع خلافا لمن منعه. ثم قال (فائدة) وجدت في خط بعض شيوخنا رحمه الله أنه يدخل الجنة ذكرا. إهـ.. وقد جمعت هذه المسائل المذكورة أولا وآخرا في أبيات تقدم بعضها. ونص الباقي منها:

يا طالبـا أقسام حكـــم الخنثى ... وهي بفرج ذكـــر وأنثى
فاسمع لمـــــا أمليه من أقسام ... ومـــن علامات ومن أحكام

يتضح الخنثى، الأبيات الأربعة المتقدمة، ثم قلت وخمس أقسام أتت للخنثى، الأبيات الأربعة المتقدمة أيضا ثم قلت:

وعندهم ما دام خنثى مشكـــــلا ... منع مناكحته بين المـــــــلا
فإن يلد من بطنه وظهـــــــره ... فإنه يرث مثل غيـــــره
فهو يرى أبا لنسل صلبـــــــه ... وأم مَنْ مِن بطنه فانتبـــــه
وإن يمـــت فالمـــال لـلأولاد ... بالإرث مطلقـا علـى المعتاد
وبين مـــن من بـــطنه وظهره ... يمتنع الميراث حقـــا فادره
ولا نكـــاح بينهـــــم ولا ولا ... وعتقه يرى عليهم مسجـــلا

---

[1]- سورة الليل، الآية 3

وإن بوطئـــــه لنفســـــه ولـــد فحكم الأولاد أشقـــاء اطـــرد
ومعلن بتركـــه التكلمـــــــــا مع الذكـــور والإناث قسمـــا
يحنث إن كلم خنثـــى مشـــكلا كما عليـه نص بعض الفضلا
ويدخل الخنثى عـــلى مـــا ذكرا بعض الشيوخ للجنان ذكـرا
وجازت الأضحى بخنثى مشكل من غنم أو بقـــر أو إبـــــل

ثم قال الناظم رحمه الله:

وما قصدت جمعه هنـــا انتهـــى والحمـــد لله بغيـــر منتهى[1]

يعني أن الأحكام التي تنزل بالقضاة والحكام وتتكرر لديهم في الوجود مع ذكر بعض نكات العقود التي قصد جمعها في هذا النظام. كما أشار له بقوله في أول الكلام:

وبعد فالقصد بـــــهذا الـــــرجز تقرير الأحـــكام بلفظ مـــــوجز[2]

قد انتهى هنا. فهنا ظرف لقوله انتهى. ويصح جعله ظرفا للجمع. أي وما قصدت جمعه هنا انتهى وكمل. ثم حمد الله تعالى كما ابتدأ نظمه على هذه النعمة التي امتن عليه المولى بها من التوفيق لنظم هذا الرجز. مع الإنعام عليه بكماله. لأنه من الأعمال التي لا تنقطع بالموت. لأنه من بث العلم. وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه إذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث. صدقة جارية. أو ولد صالح يدعو له. أو علم يبثه في صدور الرجال[3]. فالثواب للعالم الذي يبث العلم في الصدور. حاصل له بتأليفه ولو حل في القبور. إلى يوم النشور. ولذلك قيل:

أخو العلم حي خالد بعــــد موتـــــــــه وأوصاله تـحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش علـــى الثـــرى يعد من الأحياء وهو عديـم[4]

وكثير من العلماء لم يؤلفوا. فصاروا كأنهم لم يعرفوا. وقد كان طبق الكون صيتهم في حياتهم. فانقطع ثوابهم بمماتهم. ولو ألفوا المؤلفات. لانتفعوا بها بعد موافاة الوفاة. فالتوفيق من الله للمؤلفين نعمة ظاهرة. يجب الشكر عليها في كل وقت وحين. فلذلك حمد الله المولى. على أن جعله للتأليف أهلا. وحمده بحمد غير محصور. لما فيه من نوع الإقرار بالعجز عن الوفاء بشكر المنعم الشكور جل علاه. وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول مخاطبا مولاه: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت

---

[1]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر موانع الميراث)
[2]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (مقدمة النظم)
[3]- رواه مسلم بصيغة أخرى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب الوصية) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم 4177.
[4]- البيتان للشاعر ابن السيد البطليوسي

على نفسك[1]. ولا شك أن الحمد من جملة الشكر. بل هو رأس الشكر كما ورد في بعض الأحاديث. روى الخطابي في غرائبه والديلمي في مسند الفردوس والبيهقي في الأدب. بسند رجاله ثقاة لكنه منقطع. عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحمد رأس الشكر. ما شكر الله عبد لا يحمده[2]. وروى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف قال: سرقت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ردها الله علي لأشكرن ربي فردت فقال الحمد لله، فنظروا هل يحدث صوما أو صلاة. فظنوا أنه نسي. فقالوا له. قال: ألم أقل الحمد لله[3]. وأسند ابن أبي حاتم من طريق حسن عن ابن عباس قال: الحمد لله كلمة الشكر. فإذا قال العبد الحمد لله قال: شكرني عبدي. وفي صحيح الإمام مسلم مرفوعا: الحمد لله تملأ الميزان[4]. وقد وعد المولى سبحانه عباده بالزيادة من نعمه إذا شكروه. وأقسم على ذلك. فقال جل من قائل: لئن شكرتم لأزيدنكم[5]. وقد كنت قلت في المعنى:

الشكـــر مفتاح أبواب الزيــــادات	من كل خير من المولى لنـــا ياتي
لذا به أمر المولــــى خليقتـــــــه	عساهم أن ينالوا كــــل خيــــرات
فلتسألوا بالذي إليـــه أرشــــدنا	إن الكريم ليهـدي للسعــــــادات
فهو الكريم الذي للخير يرشـــدهم	وفضله لا يزال فــــــي زيــــادات
سبحانه من كريم شكــــر نعمتـــه	لسنا نوافي به في كل ساعــــــات
فكيف لا ومن النعماء منــــه لـــنا	شكرا له دائما في كــــل حــــالات

فينبغي للعاقل أن يحافظ على شكر المولى. ليكون للزيادة من نعمه أهلا. كما قلت:

شكـر الإله عـــلى الــذي	أولاك مـــن نعمائــــــه
داع إلى نيل الزيـــــــــا	دة منــــه من آلائـــــــه

---

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه: اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب الصلاة) باب ما يقال في الركوع رقم 1042.

[2]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الحاء المحلى بألف) 4: 249 رقم 11405. مشكاة المصابيح، لابن حجر الهيثمي (كتاب الدعوات) الفصل الثاني 5: 134. فيض القدير لشرح الجامع الصغير (حرف الحاء المحلى بألف) رقم 3835. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الحاء) 2: 81 رقم 5950. مصنف الصنعاني (كتاب الجامع) شكر الطعام 10: 424 رقم 20639.

[3]- من حديث طويل رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط، أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الإيمان) باب لا نذر في معصية إنما النذر إلخ 4: 336 رقم 6960.

[4]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب الطهارة) باب فضل الوضوء رقم 487.

[5]- سورة إبراهيم، الآية 7

قال العارف بالله ابن عطاء الله في حكمه:من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها. ومن شكرها فقد قيدها بعقالها[1]. وقد عقد هذه الكلمة شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس في نظمه للحكم في قوله:

من لم يكن شاكـرا لله أنعـمـــــــه فـقد تعرض للنعماء بالنقل
والشكر قيد وصيد قيد حاصلهـــــــا وصيد إبقائها بأوثق الحبــل[2]

وقد سأل السري السقطي رضي الله عنه الإمام الجنيد عن حقيقة الشكر فقال: أن لا يعصى الله بنعمه [3]. وعليه فمن عصا الله تعالى بنعمة فإنه لم يشكرها. فإنها لا محالة يفقها ولو بعد حين. ورحم القائل:

إذا كنت في نعمة فارعــها فإن المعاصي تزيل النعـــم
وحافظ عليها بشكر الإلـــه فإن الإلـــه شديد الـنقـــم[4]

والكلام في هذا المقام طويل الذيل. فلنكتف منه بهذا القدر. ثم قال الناظم رحمه الله:

وبالصلاة ختمه كمـــا أبتدي علــى الرسـول المصطفى محمد[5]

أتى بالصلاة تبركا بها في المحلين. ولجعلها في الموضعين كالشفيعين في قبول نظمه. لأنها فيها مقبولة عند الله تعالى. والمولى سبحانه أكرم من أن يقبل الصلاتين ويدع ما بينهما. ولا شك أن العمل لا يعتد به إلا إذا كان مقبولا. وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: والذي نفس محمد بيده لن يدخل أحدا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله بمحض فضله[6]. وجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون[7]. بأن العمل لا يعتد به إلا إذا كان مقبولا. وقبوله إنما هو بمحض الفضل. ثم الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام في مقامات، المقام الأول. أتى الناظم رحمه الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أخيرا كما أتى بها أولا. لأنها من المواضع المتأكد فيها الإتيان بها كما

---

[1]- أنظر الحكم العطائية الكبرى، رقم الحكمة 64

[2]- أنظر الواضح المنهاج في نظم ما للتاج، للعلامة سيدي عبد الكريم بنيس ص 49، رقم البيتان 185_186

[3]- أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي (الطبقة السادسة عشر) ترجمة الجنيد 9: 166 رقم 2555. تاريخ بغداد، للبغدادي (ذكر من اسمه الجنيد). طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (باب الجيم) ترجمة الجنيد بن محمد.

[4]- البيتان للإمام علي كرم الله وجهه، قالهما ضمن أبيات له اختتمها بقوله:

فكم آمنٍ عاش في نعمةٍ فَمَا حس بالفقر حتى هجمْ
وكم قَدَرٍ دَبَّ في غفلــة فلم يشعر الناسَ حتى هجمْ

[5]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر موانع الميراث)

[6]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: لن ينجي أحدًا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا وأغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا. إهـ.. صحيح البخاري (كتاب الرقاق) باب القصد والمداومة على العمل رقم 6316 رقم 6320 (كتاب المرضى) باب تمني المريض الموت رقم 5545. صحيح مسلم (كتاب صفة القيامة) باب لن يدخل أحد الجنة بعمله رقم 7060 رقم 7063 رقم 7065 رقم 7066 رقم 7071.

[7]- سورة النحل، الآية 32

نص عليه غير واحد. كالقاضي عياض في الشفا. والشيخ يوسف ابن عمر في شرح الرسالة وغيرهما. وهو المختار. وبه يقول الناظم بدليل إتيانه بها. وقيل منهي عنها في آخر الكتاب. قال الشيخ زروق في شرح الرسالة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب جاء فيها حديث ضعيف بالنهي عنه. ذكره أبو النعيم في الحلية. ولم يعده العلماء من المواضع المنهي فيه عنها. وهي سبعة عند العثرة والذبح والبيع والأكل والجماع والخلاء والحمام والمواضع القدرة وزيد عليها العطاس والعجب. وجمعتها في قولي:

عطاس جـــماع عثرة وتعجـــب	وذبح وأكل مثل بيـــع وحمــــام
وفي موضع الأقذار قد كرهـوا على	أجـل الورى قدرا صلاة لإعظـــام

المقام الثاني إتيان الناظم رحمه الله بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اللفظ الوارد إشارة إلى أنه يقول بجواز ذلك. وأن الثواب الموعود به فيها يحصل ولو بغير اللفظ المروي عنه عليه الصلاة والسلام. وإلى قوله نحا جماعة من العلماء. منهم تقي الدين السبكي. قال الشيخ أبو عبد الله الحطاب رحمه الله: أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة[1] فقال: الذي أعتقده أن قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا[2]. ليست لمن قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما هي لمن صلى وسلم كما نصصناه. إهـ.. وقال الشيخ سيدي محمد العربي الفاسي في شرح دلائل الخيرات: الأمر بالصلاة في الآية مطلق. يصدق بأي كيفية. وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم تعليم الكيفية حين سئل عنها[3]. إلا أن ذلك ليس على سبيل التعيين الذي لا يجزئ غيره. بدليل اختلاف الألفاظ. فهي روايات التعليم. وكلها صحيحة.

وقد وردت كيفيات أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين. وعلى ذلك جرى عملهم. وقد قال بعض العلماء: ولا يصلي عليه إلا بالكيفية الواردة في التعليم. والذي جرى عليه عمل الناس خلافه. ولا مرية في أن الواردة ولا سيما على سبيل التعليم أولى من غيره. وإنما الكلام في تعيينه هو مثله في شرح سيدي المهدي الفاسي رضي الله عنه.

المقام الثالث أفرد الناظم رحمه الله الصلاة عن السلام تبعا للقول بعدم كراهة ذلك. وهو قول جماعة من المحققين. وقيل بكراهة الإفراد. واعتمده جمهور العلماء من المحدثين. وبالغ ابن حجر الهيثمي في الانتصار له. حتى حكى عليه الإجماع. ومحل الخلاف في ذلك ما لم يجمعهما في مجلس كان

---

[1] - إشارة لكتابه عارضة الأحوذي في شرح الترمذي

[2] - إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب الصلاة) باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ثم يسأل الله له الوسيلة رقم 800.

[3] - إشارة لما رواه البخاري في صحيحه عن أبي حميد الساعدي، أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. إهـ.. صحيح البخاري (كتاب الأنبياء) باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا. إلخ.. رقم 3304 (كتاب الدعوات) باب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم. إلخ.. رقم 6215. صحيح مسلم (كتاب الصلاة) باب الصلاة على النبي بعد التشهد رقم 862

يصلي في الخط ويسلم في اللفظ أو العكس فلا كراهة. كما أن الخلاف إنما هو في إفراد الصلاة عن السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأما إفراد ذلك في غيره عليه السلام من سائر الأنبياء والملائكة عليهم السلام فلا كراهة اتفاقا. إهـ..

المقام الرابع في ذكر بعض فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال: اعلم أن الصلاة عليه عليه السلام من أجل الطاعات. وأعظم القربات. وأفضل العبادات. وهي الذخيرة التي لا تنفذ. والعمل الذي لا يرد. وصاحبه لا يطرد. وإذا أردت أن تعرف ما قلناه حقيقة. لتسلك من البرهان الدال على ذلك أقوم طريقة. فانظر إلى قوله تعالى في التنويه بنبيه زاده الله تشريفا وتعظيما: إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما[1]. فقد بدأ سبحانه وتعالى بالصلاة والتسليم عليه أولا بنفسه. وثنى بملائكة قدسه. وأمر بها المومنين من عالمي جنه وإنسه. فظهر من ذلك أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لها مقام عظيم عند الله تعالى. ونور يتلألأ. وأنها أفضل العبادة. التي ينال بها العبد من مولاه أعلا درجة في السعادة. والموت إن شاء الله تعالى على الشهادة. بمحض فضل الله وكرمه صلى الله عليه وسلم.

الله عظـــم قدر جاه محمـــــد	وأنالـــه فضـــلا لديه عظيمـا
في محكم التنزيل قـــال لخلقـــه	صلوا عليه وسلموا تسليـــــما

ولو لم يرد في فضلها إلا قوله صلى الله عليه وسلم: من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشر مرات. ومن صلى عليه مائة مرة صلى الله عليه ألف مرة. ومن صلى علي ألف مرة حرم الله جسده على النار وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة وأدخله الجنة. وفي رواية ومن صلى علي ألفا زاحمت كتفه كتفي على باب الجنة لَكَفَى في فضلها. لا سيما وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة. وفي كتب الأوائل والأواخر شهيرة. قال الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا. من صلى عليه مرة واحدة كفاه هم الدنيا والآخرة. فكيف بمن صلى عليه عشرا.إهـ..

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: جاءني جبريل عليه السلام وقال: يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك. ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة. وعن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: حجوا حجة الفريضة فإنها أعظم من غزوة في سبيل الله. وإن غزوة في سبيل الله أعظم من عشرين حجة. وإن الصلاة علي أعظم من ذلك كله. وعن سيدنا علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتبت غزاته بأربعمائة حجة. فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد. فأوحى الله إليه: ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزاة. كل غزاة بأربعمائة حجة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: للمصلي علي نور على الصراط. و من كان على الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار. ولو تتبعنا الأحاديث الواردة في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لاحتجنا إلى تأليف فيها بالخصوص. وفيما ذكرناه كفاية. وفضل الله ليس له نهاية. وقد نطق لسان القلم هنا فقال:

[1]- سورة الأحزاب، الآية 56

إن الصلاة على النبي ليس لهـــا   في الفضل شيء من الأشيا يعادلها
إن كان عنها يجازي الله صاحبها   فكيف بين الورى تحصى فضائلهـا

ولما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون كاملة إلا إذا ذكر فيها الصلاة على الآل لقوله صلى الله عليه وسلم: إياكم والصلاة البتراء. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: أن تصلوا علي دون آلي. أتى الناظم رحمه الله بالصلاة عليهم مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقال:

وآله وصحبه الأخيـــــــار   مكـــور الليل علـــــى النهار[1]

والمشهور على أن آله صلى الله عليه وسلم في باب الزكاة هم أقاربه المومنون من بني هاشم فقط. وقيل والمطلب. وأما في باب المدح فينبغي أن يفسروا بأتقياء الأمة لقوله صلى الله عليه وسلم: آل محمد كل تقي[2]. وهو حديث ضعيف. وأما حديث: أنا جد كل تقي[3]. فهو موضوع كما قال السيوطي رحمه الله في فتاويه. وفي باب الدعاء يفسر الآل بأتباعه من جميع أمته. لأن الدعاء مهما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب. قال الشيخ سيدي يحيى الشاوي رضي الله عنه: الحق توسعة الدائرة هنا. يعني في باب الصلاة عليهم. بخلاف مصرف الزكاة فعلى اختلاف الفقهاء. إهـ..أقول إطلاقه على الجميع ينافي التخصيص المنصوص عليه في الحديث المتقدم المقصود به آل البيت الكرام. كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

يا آل بيـــــت رسول الله حبكـم   فـرض من الله فـــي القرآن أنزلـه
يكفيكم مـن عظيم المجد أنكـــم   من لم يصل عليكم لا صـــلاة لـه[4]

وأتى بالصلاة على الصحابة الأخيار. الذين رفع الله لهم المقدار. لأنها من آثار المحبة فيهم. التي هي محبة النبي صلى الله عليه وسلم. وقدم الآل عليهم لمزية قرب آله منه عليه السلام. وقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم يحبون تقديم الآل عليهم. لقرب رحمهم منه صلى الله عليه وسلم. وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول مخاطبا لهم ولسائر أمته فيما أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أذكركم الله أهل بيتي[5]. وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه. وأحبوني لحب الله. وأحبوا أهل بيتي لحبي[6].

[1]- أنظر تحفة الحكام لابن عاصم (فصل في ذكر موانع الميراث) وهو آخر أبيات النظم المذكور

[2]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع الألف) 1: 24 رقم 21. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 12 رقم 20.

[3]- (أنا جد كل تقي) سئل عنه الحافظ السيوطي، فقال: لا أعرفه، أنظر كتاب الحاوي للفتاوي، للحافظ السيوطي 2 : 89، وذكره أيضا الألباني ضمن كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 1: 65 رقم 9.

[4]- البيتان للإمام الشافعي، أنظر ديوان الشافعي ص 121

[5]- رواه الإمام مسلم ضمن حديث طويل (كتاب فضائل الصحابة) باب من فضائل علي بن أبي طالب رقم 6178 .

[6]- سنن الترمذي (باب في مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم) رقم 3951. المستدرك، للحاكم (كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم) 3: 162 رقم 4767، جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع الحاء) 1: 107 رقم 570.

والصحب اسم جمع عند سيبويه. وقال الأخفش: إنه جمع له. وبه جزم الجوهري كركب وراكب. والمراد بالصاحب الصحابي. وهو في عرف المحدثين من اجتمع مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا عليه ومات على ذلك. روى عنه أم لا. طال اجتماعه به أم لا. وقولهم ومات على ذلك لابد منه ليخرج من ارتد بعد اجتماعه به صلى الله عليه وسلم ومات على ردته. و قد ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق. وفي زمن الصديق رضي الله عنه سبع فرق. وفي زمن سيدنا عمر فرقة واحدة. وقد جمعتهم في قولي:

قد عـــــاد للكفر ثلاث فــرق	في عصر خير العالمين المرتقي
وهم بنـــوا حنيفة كـــذا بنوا	أسد ومدلج وكـــانوا آمنـــوا
وارتد فـــي خلافة الصديــق	سبع مـــن الفـرق بالتحقيـــق
كندة مع بعض بنـــي تميـــم	وغطفـــــان وبنو سليـــــم
كذا بنو بـــكر بـــن وائل بنو	يربوع مع فزارة قـــد بينـــوا
وارتد في خلافة الرضى عمر	غسان وحدها فذي إحدى عشـر

وقولهم اجتماعا متعارفا المراد به اللقي في الحياة على وجه الأرض. فيخرج من رآه صلى الله عليه وسلم بعد موته وقبل دفنه. كما يخرج من اجتمع به من الأولياء بعد موته يقظة كرامة من الله لهم. وقد ادعاها كثير من أكابر الأولياء. وأنكر عليهم أهل الظاهر ذلك. وحاشى ساداتنا الأولياء أن يخبروا بما لم يشاهدوا. أو يلتبس عليهم الأمر فيما شاهدوا رضي الله عنهم. وكذا يخرج من اجتمع به عليه السلام ليلة الإسراء من الأنبياء الكرام والملائكة المطهرين عليهم السلام. وأما سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا السلام فهو من الصحابة رضي الله عنهم. لأنه اجتمع به صلى الله عليه وسلم في الأرض مرات. وكان اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم في غير ليلة الإسراء بمكة مرات[1]. كما أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن أنس. وقال الإمام الذهبي: إنه آخر الصحابة موتا[2]. وفيه ألغز الإمام السبكي بقوله:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من	كل الصحاب أبـــي بكر ومن عمــر
ومن علي ومن عثمان وهو فتــى	من أمة المصطفى المختار من مضر[3]

وأجاب عن السؤال بعض أفاضل الرجال فقال:

---

[1]- حول هذا الموضوع قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري: وقد تواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة فلا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى التأويل. إهـ. فتح الباري لشرح صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار) باب حديث الإسراء.
وفي الموضوع نفسه يقول العلامة المذكور في كتابه الإصابة: ويتجه ذكر عيسى خاصة لأمور اقتضت ذلك، أولها أنه رُفِعَ حيًّا، ثانيها أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس، ولا يكفي اجتماعه به في السماء، ثالثها أنه ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ويحكم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فبهذه الثلاث يدخل في تعريف الصحابي. إهـ. أنظر الإصابة في معرفة الصحابة 4: 761.

[2]- أنظر كتاب تجريد أسماء الصحابة، للحافظ الذهبي 1: 432

[3]- أنظر الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر العسقلاني (حرف العين المهملة) ترجمة نبي الله عيسى عليه السلام 4: 761.

ذاك ابن مريم روح الله حـين رءا | نبينا المصطفى في أحسن الصور
فوق السماوات ليلا عندما اجتمعـا | كذاك عند طواف البيت والحجـر [1]

قال صاحب روح البيان: ولا وجه لتخصيص عيسى عليه السلام. فإنه كما اجتمع به ذلك الاجتماع كذلك الخضر وإلياس عليهما السلام فإنه صلى الله عليه وسلم اجتمعا بهما اجتماعا متعارفا. إهـ.. ولذلك أجبت عن اللغز بقولي:

يا من أتانا بلغز ضمه عجـــب | وفضلـــه قد بدا في البدو والحضر
رأيته صادقا بســـادة وهـــم | عيســى المسيح وإلياس مع الخضر

وقول الناظم (الأخيار) جمع خير بمعنى أفضل أي الأفضلين. وفيه تلميح مع نوع اقتباس من قوله تعالى: كنتم خير أمة[2]. في قول الضحاك من أن المراد بالآية الصحابة رضي الله عنهم. وقيل فيها غير ذلك. وقد ورد في محبة أهل البيت وفضلهم وفضل الصحابة كلهم أحاديث كثيرة. و آثار شهيرة. وأتى الناظم رحمه الله بالصلاة على الجميع كما تقدم إشارة منه إلى أنه يحبهم ويودهم. ولو لم يكن كذلك ما صلى عليهم. وقد أخرج البخاري في تاريخه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل شيء أساس. وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أهل بيته[3]. وأخرج الديلمي عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي وأصحابي[4]. فهذه بعض الأحاديث الواردة فيهم مع اشتراكهم. ومما ورد في فضل آل البيت على الإنفراد ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير في قوله تعالى قل: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى[5]. قال: قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم[6]. وقد ضمنها الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي قدس سره في قوله:

أرى حب أهل البيت عندي فريضـــة | علــى رغم أهل البعد يورثني قربا
فما اختار خير الخلق مـــنا جـزاءه | على هـديه إلا المودة في القربـــى

[1]- البيتان للعلامة أبي عبد الله محمد الطالب بن الحاج، ذكرهما في حاشيته على المرشد المعين، وذلك جوابًا على لغز الإمام السبكي رحمه الله.
[2]- سورة آل عمران، الآية 110.
[3]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة) 3: 457 رقم 9778. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الحادي عشر) 1: 2319 رقم 32523. ونص هذا الحديث كالتالي: الإسلام عُريان، فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله وحب أهل بيته. إهـ..
[4]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع الثاء) 1: 92 رقم 454. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (حرف الهمزة) رقم 159. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 40 رقم 263. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني عشر) 1: 2412 رقم 34157 رقم 34163.
[5]- سورة الشورى، الآية 23
[6]- أنظر إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي (الحديث الأول)

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ومن يقترف حسنة[1]. قال: المودة لآل محمد[2]. وأخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الزموا مودتنا أهل البيت. فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا. والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمل من عمله إلا بمعرفته حقنا[3]. وأخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلي والطبراني عن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: النجوم أمان لأهل السماء. وأهل بيتي أمان لأمتي[4]. وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل أهل البيت مثل سفينة نوح من ركبها نجا. ومن تركها غرق[5].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدم عبد حتى يسأل عن أربع. عن عمره فيما أفناه. وعن جسده فيما أبلاه. وعن ماله فيما أنفقه. وعن محبتنا أهل البيت. وأخرج الديلمي عن علي كرم الله وجهه عنه عليه السلام قال: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة. المكرم لذريتي. والقاضي لها الحوائج. والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه. والمحب لهم بقلبه ولسانه[6]. فهذا بعض ما يتعلق بمحبتهم. وأما بغضهم فهو داعية البوار. ومناط الخسار. في الدنيا والآخرة. ورضي الله عن الإمام بن عربي الحاتمي حيث قال:

فلا تعدل بأهل البيت خلقا … فأهل البيت هم أهل السعادة
فبغضهم من الإنسان خسر … حقيقي وحبهم عبادة[7]

أخرج ابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار[8]. وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لمعاوية بن خديج: يا معاوية بن خديج إياك وبغضنا فإن رسول الله صلى

---

[1]- سورة الشورى، الآية 23

[2]- أنظر إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي (الحديث الثالث)

[3]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم 9: 272 رقم 15007. إحياء الميت بفضائل أهل البيت، للسيوطي (الحديث الثامن عشر)

[4]- جامع الأحاديث والمراسيل (النون المحلى بألف) 11: 249. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف النون) 3: 267 رقم 12725. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني عشر) 1: 2413 رقم 34188.

[5]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم 9: 265 رقم 14979 رقم 14980. المستدرك، للحاكم (كتاب التفسير) 2: 373 رقم 3361 (كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم) 3: 163 رقم 4771. مسند الشهاب القضاعي 2: 274 رقم 1345. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع النون) 2: 388 رقم 6152 (حرف الميم) 6: 430 رقم 19732.

[6]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة) 1: 411 رقم 2809. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني عشر) 1: 2413 رقم 34180.

[7]- البيتان للشيخ ابن عربي الحاتمي، أنظرهما في كتابه الفتوحات المكية، الباب 502 في معرفة حال قطب كان منزله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

[8]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف اللام ألف) 8: 358 رقم 26650. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني عشر) 1: 2413 رقم 34204.

الله عليه وسلم قال: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار[1]. وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسمعته وهو يقول: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يهوديا[2]. وأما ما ورد في الصحابة رضي الله عنهم فشيء كثير. حتى قال ابن عباس في قوله تعالى: وسلام على عباده الذين اصطفى[3]. هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيئين والمرسلين[4]. وقال عليه السلام: إن الله اختار لي أصحابي فجعل لي منهم وزراء وأصهارا. فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وقال عليه السلام: الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم. ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني. ومن آذاني فقد آذى الله. ومن آذى الله يوشك أن يأخذه[5]. وعنه عليه السلام أنه قال: من أحب جميع أصحابي ووالاهم واستغفر لهم جعله الله معي يوم القيامة في الجنة[6] ورحم الله القائل:

هم الصحابة خير الخلق أيدهـــم	رب الســـماء بتوفيق وإيثــار
فحبـــهم واجب يشفى السقيم بــه	فمن أحبهم ينجو مــن النــــار

ثم وقت الناظم رحمه الله الصلاة التي أتى بها في نظمه بما يفيد الدوام والإستمرار بقوله ما كور الليل على النهار. ومعناه: والصلاة عليهم مدة تكوير الليل على النهار. وليه عليه ولفه. يقال كار العمامة على رأسه وكورها. أي لفها ولواها. كأنه يقول ما دام يخلف النهار الليل ويخلف الليل النهار. أو ما دام يغطي الليل النهار والنهار يغطي الليل. وذلك مدة بقاء الدنيا. وما ذكره الناظم في هذه الأبيات التي ختم بها نظمه فيها لطائف. منها أن الناظم رحمه الله فرغها في قالب فرغ فيه لازم أبياته الثلاث التي ختم بها مقصورته المشهورة إذ قال فيها:

بدأتها باسم الــذي ختمتهــــــا	بحمـــــده جــــل الإله وعـــــلا
فالبدء باسم الله أولى ما بـــــــه	عند افتتاح كل أمـــر يعتنـــــى
والحـــمد لله أجل غــــــــاية	يبلغ بالقول لهـــا وينتهـــــــى

---

[1]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب النكاح) باب الإستثمار 4: 511 رقم 7466 (كتاب علامات النبوة) باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم 9: 272 رقم 15008. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف اللام ألف) 8: 357 رقم 26644. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني عشر) 1: 2413 رقم 34203.

[2]- مجمع الزوائد، للهيثمي، ضمن حديث طويل (كتاب علامات النبوة) باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم 9: 272 رقم 15009.

[3]- سورة النمل، الآية 59.

[4]- مجمع الزوائد، للهيثمي، ضمن حديث طويل (كتاب علامات النبوة) 9: 736 رقم 16383. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الحادي عشر) 1: 2349 رقم 33094 (المجلد الثالث عشر) 1: 2669 رقم 36708.

[5]- مسند الإمام أحمد (حديث عبد الله بن مغفل المزني) 6: 42 رقم 20152 رقم 20181، سنن الترمذي (كتاب مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم) باب في من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رقم 4029، صحيح ابن حبان (باب في فضل الصحابة والتابعين) ذكر الزجر عن اتخاذ المرء أصحاب رسول الله غرضا للتنقص رقم 7142.

[6]- فضائل الصحابة، للإمام النسائي 1: 340 رقم 491.

ففيها تلميح مليح إليها. ومنها أنها اشتملت أيضا على نوع لطيف من الإقتباس من قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل[1]. وفي ضمن هذه الآية الشريفة نكات بديعة. وطرائف رفيعة. مما يدل على قدرة الله الباهرة. وعلى إبداع حكمته الباطنة والظاهرة. وتتبعها يؤدي إلى التطويل. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقد تقدم لنا أن الناظم رحمه الله حمد الله تعالى على الإنعام عليه بإتمام هذا النظم لأنه من بث العلم الذي ينتفع به العباد. وقد قال صلى الله عليه وسلم: الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله[2]. وقد ورد في فضل العلم والتنويه به ما يحث كل عالم على الإزدياد منه مدة حياته. ويغرى كل جاهل على اقتنائه قبل مماته. وقد جرت عادة الشيوخ رحمهم الله في ختم دروسهم العلمية بذكر بعض ما يتعلق بالعلم من الترغيب فيه على سبيل الإجمال. ومنهم من بسط القول فيه ويذكرون فضائله الخاصة والعامة. بين الخاصة والعامة. لأمور منها تشويق الطلبة لأن يعودوا لقراءة ما لم يفهموه. ولا يكتفوا بما تعلموه. لأنهم إذا سمعوا فضله تقوى همتهم على تحصيله. ويزداد نهمهم المنوط بإجماله وتفصيله. وقد قال صلى الله عليه وسلم: منهومان لا يشبعان. طالب علم وطالب دنيا[3]. فإذا لم يكن طالبه منهوما فليس بطالب. وإذا لم يكن راغبا فيه فهو عنه راغب. وقد ورد أنه لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم. فإذا ظن أنه عالم فقد جهل. لأن العلم بحر لا ساحل له.

قل للذي يدعي في العلم مـــعرفة	علمـــت شيئا وغابت عنك أشياء

وانظر إلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه عليه السلام قد علم علم الأولين والآخرين. ولم يصل إلى ما علمه صلى الله عليه وسلم أحد من المخلوقين. ومع ذلك فقد أمره الله تعالى بطلب الزيادة فقال تعالى: وقل ربي زدني علما[4]. وفي ذلك قيل:

عليك بالعـــلم ولـــو	سموت فيـــه القومـــا
فالعلم لـــم يُحِطْ بـــه	إلا الإلـــه حتمـــا
لو كان للغـــير اكتـــفا	بمـــا دراه يومـــا
ما قال ربـــي للنبـــي	قل ربي زدني علمـــا

ولا شك وأن النفس إذا سمعت فضائل العلم الشريف فإنها تتوق إلى الاستظلال تحت ظله الوريف. وهذا هو السر في ذكر المبادئ العشرة المطلوب الإتيان بها أول الشروع في الفن الخصوصي المشروع فيه. لكون فضيلته وفائدته من جملتها. وما ذاك إلا ليحصل لطالبه الإنكباب عليه. ومن عرف ما قصد. هان عليه ما وجد. وقد أجمعت جميع الملل على تعظيم العلم وأهله. وكلهم مقر

---

[1]- سورة الزمر، الآية 5

[2]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب فضل قضاء الحوائج 9: 349 رقم 13706. مسند أبي يعلى (ثابت البناني عن أنس بن مالك) 6: 194 رقم 3481 رقم 3318 رقم 3373. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد السادس) 1: 1192 رقم 16171.

[3]- سنن الدارمي (كتاب النبي صلى الله عليه و سلم) باب في فضل العلم والعالم رقم 337 رقم 340. سنن ابن أبي شيبة (كتاب الأدب) ما جاء في طلب العلم وتعليمه رقم 21860. المستدرك، للحاكم (كتاب العلم) 1: 169 رقم 318. مسند الشهاب القضاعي 1: 212 رقم 322.

[4]- سورة طه، الآية 114.

بفضله. لأنه من إرث النبوة التي لا تدرك بالكسب. وقد ورد في الحديث الشريف: العلماء ورثة الأنبياء[1]. إلا أنه إنما يناله من بذل فيه نفيس أوقاته. وجعله قوتا في حركاته وسكناته. وفي ذلك أقول:

العلم شـــــيء كبيـــــر	قد خلفتــــه النبـــــوه
مــا نالـــــه ذو تــوان	بجـــــلولة أو بخلـــــوه
وإنــما نـــاله مــــن	تُرَى له فيــه صـــبوه
لو لم يكـــن باجتهـــاد	ينالـــه ذو الفتـــــوه
ما قال ربــــي ليحيـى	خذ الكـــتاب بقـــوه
فابذل نفيســك فـــيـه	يعطيك في المر حلــوه

وأما من لم يجد في الطلب. ولم يسلك فيه الأدب. ورام فيه بلوغ الأرب. فهو إن حصل شيئا منه فمن العجب. وفي ذلك أقول:

أيا طالب العلم دم في الـطلب	ستحمد فيه جميـع التعـــب
فللعلم مرتبة فـــي الـــعلا	علت في البرية كـل الرتــب
وأبوابه لـــيس يبلغهـــــا	فتى لـم يلازم سلـوك الأدب
فلازمه تحظى بــه والـذي	يجد لشيء يجــد مـــا طلب

ومنها أن العامة الذين لا يحضرون مجالس العلم غالبا إذا سمع البعض منهم بختم درس من الدروس العلمية فإنهم يحضرونه للتبرك. فإذا سمعوا فضائل العلم فإنه يحصل لهم بذلك لوعة واشتياق. وربما اشتغلوا باقتنائه بعد الإفتراق. فيحضرون المجالس العلمية. ويقومون على ساق الجد في تعلم أمور دينهم وتعليم أولادهم على وفق ما سمعوه من الفضائل. التي منها أن كل من اشتغل به لابد أن يحظى بحظ من طلبه إما في العاجل و إما في الآجل. وفي هذا المعنى قلت:

يا طالب العلـــم أبشـــر	بنيل خيـــــر كثـــير
لابد مــــن فــــتح باب	لــه وأجــر كبـــــير

وفي هذا المعنى أيضا:

لطالب العلم إمــــا الفتح يصحبه	أجر وإما حصول الأجر فــي الطلب
ما خاب طالبـه في نيــل مقصده	يوما ولا سيما إن كـــــان ذا أدب

[1]- سنن الترمذي ضمن حديث طويل (كتاب العلم) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم 2752. سنن الدارمي (كتاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب في فضل العلم والعالم رقم 348. سنن أبي داوود (كتاب العلم) باب في فضل العلم رقم 3642. صحيح ابن حبان (باب الإعتصام بالسنة) ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل رقم 88. سنن ابن ماجة (باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم) باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم 227.

وقد ذكروا أن العلم لابد أن ينتفع به صاحبه ولو لم يعمل به. لأنه غالبا في آخر الأمر يورث الخشية من الله تعالى. فلا تنكر فائدته وثمرته. وقد ورد في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم عملت به أو لم تعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة[1]. وفي العهود للعارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبجل العلماء ولو لم يعملوا بعلمهم. ونقوم بواجب حقوقهم. ونكل أمرهم إلى الله تعالى. فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله. فإن العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحملة شريعته وخدامه. فمن استهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هـ.

و قال أيضا أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا لم نعمل بعلمنا أن ندل عليه من يعمل به من المسلمين وإن لم يكن ذلك يجبر خللنا على التمام. فإن من الناس من قسم له العلم ولم يقسم له عمل به. ومنهم من لم يقسم له واحد منهما كبعض العوام. وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: يتعين على كل من لم يعمل بعلمه أن يعلمه الناس ولمن يرجو عمله. وسمعته مرة أخرى يقول: ما ثم عالم إلا وهو يعمل بعلمه ولو بوجه من الوجوه ما دام عقله حاضرا. وذلك أنه إن عمل بالمأمورات الشرعية واجتنب المنهيات فقد عمل بعلمه بيقين إذا رزقه الله الإخلاص فيه. وإن لم يعمل بعلمه كما ذكرنا فيعرف بالعلم أنه خالف أمر الله فيتوب ويندم. فقد عمل أيضا بعلمه. لأنه لولا العلم ما اهتدى لكون ترك العمل بالعلم معصية. فالعلم نافع على كل حال. ويحمل ما ورد في عقوبة من لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنبه هـ. وهو كلام نفيس وملخص ذلك أنه لا يشترط في كون الإنسان عاملا بعلمه عدم وقوعه في معصية كما يتبادر إلى الأذهان وإنما الشرط عدم إصراره على الذنب أو عدم إصراره على الإصرار.

وقال العلامة شهاب الدين القرافي من عمل بما علم فقد أطاع الله طاعتين. ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين. ومن علم و لم يعمل فقد أطاع الله سبحانه و تعالى طاعة و عصاه معصية. إهـ.. و عليه فالعلم حسنة. و ترك العمل به سيئة. والحسنة تذهب السيئة. كما قال تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات[2]. وتعلم العلم وتعليمه من نفس العمل بالعلم. فالعالم يصدق عليه أنه عامل بالعلم على كل حال. وغالب الناس يسول لهم الشيطان والنفس الأمارة ويقولان له بقاء الشخص على جهله خير له من علمه بلا عمل. فيترك ذلك من أجل غرورهما المفروغ في قالب النصيحة. وقد خاطبت بعضهم نفسه بذلك فتفطن لمكيدتها فقال:

قالت لي النفس لما صرت مشتغلا	بالعلم من بعد ما قد كنت ذا كسل
إني نصحتك فاعمل في الحياة بما	أردت تعلمه أو دعه يا أملي
فقلت يا مهجتي دعي الغرور بذا	إن التعلم والتعليم من عملي

[1]- سنن ابن ماجة (باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) باب فضل من تعلم القرآن رقم 223 ، الترغيب والترهيب (كتاب العلم) الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه رقم 116 (كتاب قراءة القرآن) الترغيب في قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وفضل تعلمه وتعليمه والترغيب في سجود التلاوة رقم 2214، كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 2014 رقم 29373 رقم 28762.

[2]- سورة هود، الآية 114

كان مجاهد رضي الله عنه يقول: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية. ثم رزق الله بعد فيه النية[1]. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة. وقال أيضا طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله وما عنده. فما زال بهم العلم حتى أرادوا به الله وما عنده[2]. وعقدته بقولي:

يا طالب العلم للدنيا الدنية في	حياته وعلى الإخلاص ما قدرا
قدم عليه فإن العلم منهجه	يفضي إليه ولا تكن به ضجرا

وكان سفيان بن عيينة رضي الله عنه يقول: قرأنا هذا العلم لغير الله، فأبى العلم أن يكون إلا لله[3]. وعقدت هذا أيضا في قولي وفيه جناس مع الإشارة إلى أنه لا ينبغي لطالب العلم أن تكون نيته فيه مقصورة على الدنيا. لأن ذلك من أفعال اللاهين عن الله عياذا بالله

طلبت العلم للدنيا	وهذا الفعل للاهي
ويأبى الله إلا أن	يكون العلم لله

وقد آن لنا أن نختم هذا المجلس الشريف بذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل العلم الذي لا يخيب من استظل بظله الوريف، عسى أن يهدي الله لسلوك طريقته الناظر والمتكلم والسامع. و المأمول من المولى الكريم أن يرزقنا بفضله العلم النافع، إنه رب ذلك والقادر عليه. روى الشيخان وابن ماجة عن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. وإنما أنا قاسم والله المعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله[4].

والتنوين في قوله خيرا للتعظيم والتكثير، أي خيرا عظيما، فلا يرد الإشكال الذي أورده بعض العلماء على ما يقتضيه عموم من الذي هو في قوة كل من يراد به الخير. إلخ. وهو أن كل من مات قبل البلوغ مومنا ونحوه قد أريد به الخير وليس بفقيه. وأجيب أيضا بأنه على حذف الصفة أي خيرا خاصا. وهو مفاد الأول أيضا في الجملة. وقال بعضهم: ممكن حمل الخير على الإطلاق. واعتبار من لم يتفقه في الدين منزلة العدم بنسبته إلى الفقيه في الدين. فيكون الكلام مبنيا على المبالغة. كأن مَنْ لَمْ يُعْطَ الفقه في الدين ما أريد به الخير. ومعنى يفقهه يجعله فقيها في الدين. والفقه لغة الفهم. قال القسطلاني: والحمل عليه هنا أولى من الإصطلاحي ليعم فهم كل علم من علوم الدين. ومن موصولة تضمنت معنى الشرط هـ. أقول: والموصول قد يعامل معاملة الشرط كما في التسهيل. ومنه قول الشاعر:

---

[1]- أنظر سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (ترجمة مجاهد بن جبر) الطبقة الثانية من التابعين رقم الترجمة 542.

[2]- أنظر سنن الدارمي (كتاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب من طلب العلم بغير نية فرد العلم إلى النية 1: 102 رقم 365.

[3]- أنظر إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (كتاب العلم) الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم، بيان وظائف المرشد المعلم 1: 79. ميزان العمل، للمؤلف نفسه، بيان وظائف المتعلم والمعلم في العلوم المسعدة ص 47

[4]- صحيح البخاري (كتاب العلم) باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين رقم 71 (كتاب فرض الخمس) باب قوله تعالى فإن لله خمسه وللرسول رقم 3048. صحيح مسلم (كتاب الزكاة) باب النهي عن المسألة رقم 2345.

ومن يحفرن بئرا يريد به أخـــــا	فإنـــه حقا فيه من دونـــــــــه يقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما	تصبه على رغم عواقب مــا صنــع[1]

وأخرج هذا الحديث أيضا أبو يعلي من وجه آخر ضعيف. وزاد فيه: ومن لم يفقهه في الدين لم يبال الله به[2]. وروى أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر أن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك[3]. والمراد بالحكمة الفقه. كما فسرت بها أيضا في قوله تعالى: يؤتي الحكمة من يشاء. ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا[4].

وقد نبه هذا الحديث على ثمرة العلم في الدنيا. ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى. وأخرج أبو نعيم أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل. وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل[5]. وأخرج أبو داوود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:العلماء ورثة الأنبياء[6]. وفي بعض الروايات بزيادة يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا.

وأخرج أبو داوود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع. وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في جوف الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكوكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. لم يخلفوا دينارًا ولا درهما. وإنما خلفوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر[7]. وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماوات والأرض بالإستغفار له. فهو مشغول بنفسه. وهم مشغولون بالاستغفار له. وذلك أن العالم لما كان سببا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات. وكان سعيه مقصورا على هذا. وكانت نجاة العباد على يديه جُوزِيَ مِنْ جنس العمل. وجعل من في السموات والأرض ساعيا في نجاته من أسباب الهلاك باستغفارهم.

وأخرج الخطيب في التاريخ من حديث الزبيدي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب[8]. وفي رواية: من طلب العلم تكفل الله برزقه[9]. وأخرج

---

[1]- البيتان للتابعي الجليل أبي الأسود الدؤلي، من أبيات له قال في مطلعها:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه	ففاض ففي صدري لسري متسع

[2]- أنظره في الترغيب والترهيب (كتاب العلم) الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه رقم 100، مسند الشاميين 1: 240 رقم 430.

[3]- سبق تخريج هذا الحديث ضمن هذا الجزء ص

[4]- سورة البقرة، الآية 269

[5]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة) 2: 50 رقم 3799، كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الرابع) 1: 729 رقم 10647.

[6]- سبق تخريج هذا الحديث ضمن هذا الكتاب ص

[7]- سبق تخريجه ضمن حديث العلماء ورثة الأنبياء، أنظر ص

[8]- جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الميم) 7: 172 رقم 21686

[9]- مسند الشهاب القضاعي 1: 244 رقم 391، جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الميم مع النون) 7: 60 رقم 20869. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الميم) 3: 210 رقم 12011.

الترمذي من حديث أبي أمامه وقال: حسن صحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي[1]. فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوءة. وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها. ولولاه لم تكن عبادة.

ذاك الذي بغير عــلم يعــبد	لا يصلح العمـــل لكـــن يفسد

وأخرج ابن ماجة من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[2]. قال صاحب قوت القلوب بعد هذا الحديث من غير سند: فقدم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمة. فله مثل أجور أمته. والشهيد عمل لنفسه.إهـ.. وقال في الإحياء بعده: فأعظم بمرتبة هي تلي النبوءة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة[3]. وقال الشيخ مرتضى رحمه الله نقلا عن الإمام القرطبي: فأعظم بمنزلة هي بين النبوءة والشهادة بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم[4]. ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله تعالى بولاية مقام الإحسان إليهم في الآخرة بالشفاعة فيهم جزاء وفاقا. وقد أخذ بقضية هذا الخبر جمع فصرحوا بأن العلم أفضل من القتل في سبيل الله. إلخ.. وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه[5]، وقد اقتبس من هذا بعضهم قوله فقال:

عليك بتحصيل العلوم ودركـــــها	وفي الفقه فـــي الدين القويم فجاهد
فإن فقيها واحـــدا دون مريـــــة	أشد على الشيطان مــن ألف عابد

وأخرج ابن عدي من حديث أبي هريرة وابن عبد البر من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: فضل المومن العالم على المومن العابد سبعون درجة. وفي رواية بزيادة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[6]. وفي رواية: الله أعلم ما بين كل درجتين. وفي رواية: بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة. وفي رواية: فضل العالم

[1]- سنن الترمذي (كتاب العلم) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم 2755

[2]- سنن ابن ماجة (كتاب الزهد) باب ذكر الشفاعة رقم 4405، جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع الواو) 3: 302 رقم 8783. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 470 رقم 4697. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 1981 رقم 28770.

[3]- أنظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (كتاب العلم) الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل و العقل 1: 12

[4]- تفسير القرطبي (سورة المجادلة) عند تفسيره لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

[5]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب منه 1: 327 رقم 487. مسند الشهاب القضاعي 1: 150 رقم 206. سنن الدارقطني (كتاب البيوع) باب منه رقم 3044.

[6]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب في فضل العالم والمتعلم 1: 329 رقم 498. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الفاء مع الضاد) 5: 268 رقم 14772. مسند أبي يعلى (من مسند عبد الرحمن بن عوف) رقم 855. الفتح الكبير بضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الفاء) رقم 8151.

على المجتهد مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة سنة حُضْر الجواد المضمر[1]. والحضر بالضم وسكون الضاد نوع من أنواع سير الفرس. والمضمر هو الجواد للحضر والركض.

وأخرج الطبراني من حديث أبي موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء ثم يقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي بينكم إلا لحلمي بكم. ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم. اذهبوا فقد غفرت لكم[2]. وفي رواية يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي. وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين. والذي نفس محمد بيده ما من متعلم يتخلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة. وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة. ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له. ويمسي ويصبح وهو مغفور له. وتشهد له الملائكة هذا معتق من النار. فانظر إلى هذه المزية العظيمة التي ينالها طالب العلم من غفران ذنبه وشهادة الملائكة له بأنه معتق من النار. مع استغفار الأرض له وهو يمشي عليها. وبناء المدن له في الجنة. وأن له بكل قدم ثواب عبادة سنة. كل ذلك أقسم عليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مع ما انضم إلى ذلك من الأحاديث التي تقدمت التي هي في حيز ما لم يذكر كنقطة من بحر. فكيف لا يشتغل العاقل بجمع هذه الذخيرة العظمى. التي يرتقي بها في الدارين للمقام الأسمى.

وقد نص العلماء على أن حضور المجالس العلمية من باب الهجرة إلى الله و رسوله ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله. فهجرته إلى الله ورسوله. وكفى بذلك منقبة شريفة ورتبة. ولذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: لأن أجلس ساعة فأتفقه أحب إلي من إحياء ليلة القدر[3]. وقال: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها[4]. وفي الحديث الشريف: باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها[5]. ويروى عن الحسن البصري رضي الله عنه: لأن أتعلم بابا من العلم فأعلمه مسلما أحب إلي من أن يكون لي الدنيا كلها في سبيل الله. وفي الحديث: حضور مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو. وفي رواية أبي ذر: حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة. وعيادة ألف مريض. وشهود ألف جنازة. فقيل يا رسول الله وقراءة القرآن؟ فقال: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم.

وهذه الأحاديث وإن تكلم العلماء في أسانيدها لكن بعضها يقوي البعض. وعلى كل حال فمن وفقه الله تعالى لحضور مجالس العلم فليحمد الله على ما أنعم به عليه من هذه النعمة العظيمة. وليجتهد في إخلاص النية إلى الله تعالى ليكون من الفائزين. وليعمل بما علم بقدر الإستطاعة ليورثه الله علم ما لم يعلم. ويكون من العلماء العاملين. ولا يتكل على مجرد سماعه لهذه الأحاديث الشريفة. فربما تكون كما قاله جمهور العلماء مقيدة بالعمل والإخلاص فيه. وإنما تذكرها مجردة لتشويق النفس مع

---

[1]- سنن الدارمي (كتاب النبي صلى الله عليه و سلم) باب في فضل العلم والعالم رقم 357.

[2]- الترغيب والترهيب (كتاب العلم) الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه رقم 132

[3]- الترغيب والترهيب، للمنذري (كتاب العلم) الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه رقم 137

[4]- مصنف الصنعاني (كتاب الجامع) باب العلم رقم 21531

[5]- قريب منه قوله صلى الله عليه وسلم: لَبَابٌ من العلم يتعلمه الرجل أحب إلي من ألف ركعة تطوعا. إهـ.. مجمع الزوائد (كتاب العلم) باب منه 1: 331 رقم 507.

حسن الرجاء كل عالم بلسان فيه. ولذلك قال في العهود المحمدية: جميع ما ورد في فضل العلم والعمل إنما في حق المخلصين فيه. فإياك يا أخي والغلط فإن الناقد بصير هـ. وقد عقدته في قولي:

فضيلة العلم حقا ليس يدركها إلا فتى مخلص في العلم والعمل
إياك من غلط يغر صاحبه فللنقود بصير غير منخذل

وقال في الحكم العطائية: العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك[1]. وقد عقد شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس حفظه الله هذه الحكمة في قوله:

العلم إن قارنته خشية لك ما يفيد من شرف ورفعة النزل
أما الذي ليس فيه خشية فله عليك حجته باللوم والعذل[2]

وقد حكى الإمام القصار أن بعض الأفاضل قيل له في النوم

تعلم ما استطعت لقصد وجهي فإن العلم من سفن النجاة
وليس العلم في الدنيا بفخر إذا ما حل في غير الثقاة
ومن طلب العلوم لغير وجهي بعيد أن تراه من التقاة

ومع هذا فلا ينبغي للعامة أن ينظروا للعالم الذي يرونه منكبا على الدنيا مع اشتغاله بالعلم بعين النقص والازدراء. فإن ذلك يعود عليهم بالوبال وخسارة الدارين عياذا بالله تعالى. والواجب عليهم هو نظر العلماء بعين التعظيم والإحترام. وإنما التوفيق بيد الله. قال السنوسي رضي الله عنه في شرح كبراه: الإنتفاع بالعلم بيد الله. وليس بين العلم والعمل ربط عقلي. لأن هذا لا يقدح في وجوب العلم ولا في شرفه. وليس العلم هو الذي حمل العالم على المخالفة حتى يقدح في شرفه هـ. وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من عظم عالما فإنما عظم الله ورسوله. ومن تهاون بعالم فإنما ذلك استخفاف بالله ورسوله. وقال عليه السلام: ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق. ذو الشيبة في الإسلام. وذو العلم. وإمام مقسط[3]. وقال عليه السلام: ليس منا من لم يجل كبيرنا. ويرحم صغيرنا. ويعرف لعالمنا حقه[4]. ومن علامة الساعة أن يحقر الصغير الكبير. ولا يوقر الجاهل العالم. وقد وجد على عرش بلقيس ما معربه:

ستأتي سنون هي المعضلاة يراع من الهرعة الأجدل

[1]- الحكم العطائية الكبرى رقم الحكمة 233

[2]- أنظر الواضح المنهاج في نظم ما للتاج للعلامة سيدي عبد الكريم بنيس ص 90

[3]- الترغيب والترهيب (كتاب العلم) الترغيب في إكرام العلماء وإجلالهم رقم 174، مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الجهاد) ما جاء في الإمام العادل رقم 28297.

[4]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب في معرفة حق العالم 1: 338 رقم 532 (كتاب الأدب) باب توقير الكبير ورحمة الصغير. إلخ.. 8: 33 رقم 12610. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثالث) 1: 445 رقم 5980.

وفيها يهين الصغير الكبـــيـر وذو العـــــلم يسكته الأجهل[1]

عنه صلى الله عليه وسلم قال: يهتز العرش لثلاث، لليتيم إذا ضرب، وللغريب إذا ظلم، وللعالم إذا حقر. وقال صلى الله عليه وسلم: من وقر عالما فقد وقر ربه[2]. ولا شك وأن المتعلم شريك في الفضل مع العالم فيجب تعظيمه أيضا. وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: العالم والمتعلم شريكان في الخير. وسائر الناس همج لا خير فيهم[3]. وقال اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك[4]. والخامس هو المبغض للعلم وأهله. ولا يبغضهم إلا من لا خير فيه. ومن نظم سيدنا علي كرم الله وجهه يمدح العلم وأهله :

الناس من جهة التمثيل أكفـــــاء أبـــوهم آدم والأم حـــــــــواء
وإن يكن لهم فــي أصلهم شرف يفاخـــرون بــه فالطين والمـــاء
ما الفخر إلا لأهل العلـم إنهـــم على الهدى لمن استهـدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كـــان يحسنه والجاهلون لأهل العلـــم أعـداء
ففز بعلم ولا تجـهل مواضعـــه فالناس موتى وأهل العلم أحيـــاء

والحاصل أن العلم أفضل شيء به يعتنى. وأجل ذخيرة للمعاد تقتنى. لا سيما إذا انظم العَمَلُ إليه. ولم يتكل في نيل فضل الله عليه. فنسأل المولى الذي عظمت نعمه. وتعاظم فضله وكرمه. أن يرزقنا علما نافعا. وقلبا خاشعا. ويصلح أحوالنا. ويخلص أعمالنا. وأن لا يكلنا إلى غيره طرفة عين. وأن يكون لنا ولجميع المسلمين في الدارين. وأن يغفر لنا ولوالدينا. ولمن له حق علينا. ولجميع الأحباب الغائبين والحاضرين لدينا. وينظر جمعنا هذا بعين الرضى الذي لا سخط بعده. والحمد لله وحده. ولنختم مجلسنا هذا بما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه ما جلس أحد في مجلس فكثر فيه لغطه. فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك ربي ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. إلا غفر الله له ما فعل في مجلسه.

---

[1]- ذكرهما الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبير، الجزء الثاني، باب حرف الهاء (الهزبر) وذكرهما أيضا العلامة المعافى بن زكريا في كتابه الجليس الصالح والأنيس الناصح، وزاد إليهما بيتا ثالثا وهو:
ترى الشيخ يلقي العصا طائعًا ويمشي عليها الفتى الأرجلُ
أنظر كتاب الجليس الصالح والأنيس الناصح، للمعافى بن زكريا (المجلس السابع والأربعون) أبيات وجدت على سد مأرب.

[2]- قريب منه ما جاء في الحديث عن عمار بن أبي عمار، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب يومًا، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه، فقال له: تنح يا ابن عمِّ رسول الله، فقال له: هكذا أُمِرْنَا أن نفعل بعلمائنا وكُبرائنا. فقال زيد رضي الله عنه: أَرِنِي يَدَكَ، فأخرج يَدَهُ، فَقَبَّلَهَا، فقال: هكذا أُمِرْنَا أن نفعلَ بأهل بيت نبيِّنا. إهـ.. أنظر جامع الأحاديث والمراسيل 19: 481 رقم 15189. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثالث عشر) 1: 2722 رقم 37061.

[3]- سنن ابن ماجة (باب في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم 232. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب في فضل العالم والمتعلم 1: 328 رقم 493. مسند الشهاب القضاعي 1: 188 رقم 279.

[4]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب في فضل العلم والمتعلم 1: 328 رقم 495. جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الهمزة مع العين) 2: 6 رقم 3447. الفتح الكبير بضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 204 رقم 2050. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 1981 رقم 28730.

وأخرج الشيخان مرفوعا: من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[1]. وفي الترغيب والترهيب لسيدي عبد العظيم المندري: من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة كتبت له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة[2]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن. خفيفتان على اللسان. ثقيلتان في الميزان. سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم[3]. فلنذكرها في هذا المجلس مائة مرة. اغتناما لهذا الفضل العظيم. من الرب الكريم. فنقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. إلخ.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ بحمد الله العظيم زوال يوم السبت حادي عشر شعبان المعظم. عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف. من هجرة من أكرمه الله بأكرم وصف. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

---

[1]- صحيح البخاري (كتاب الدعوات) باب فضل التسبيح رقم 6258. صحيح مسلم (كتاب الذكر والدعوات) باب فضل التهليل والتسبيح رقم 6793.

[2]- مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الأذكار) 10: 98 رقم 16835. الترغيب والترهيب (كتاب الذكر والدعوات) الترغيب في التسبيح والتكبير رقم 2375. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني) 1: 246 رقم 3869.

[3]- صحيح البخاري (كتاب الدعوات) باب فضل التسبيح رقم 6259 (كتاب الأيمان والنذور) باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته رقم 6534 (كتاب التوحيد) باب قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة رقم 7397. صحيح مسلم (كتاب الذكر والدعوات) باب فضل التهليل والتسبيح رقم 6796.